تمثلات المقاومة والصمود فى الرواية التركية القبرصية
رواية (هل نضج اليوسيفي؟)
لأسماعيل بوزقورت نموذجًا

د/ جمال سعيد عبد الغني
قسم اللغات الشرقية (شعبة اللغة التركية)
كلية الآداب - جامعة حلوان

د/ جمال سعيد عبد الغني

مقدمة

إن المتتبع لتاريخ قبرص عبر عصوره المختلفة يلمس أنها كانت – ولا تزال – ساحة للصراع وبؤرة للتوتر الإقليمي في شرق البحر المتوسط ؛ ومرد ذلك إلى ما تتمتع به هذه الجزيرة من موقع استراتيجي مهم ، جعلها عرضة للغزو وصراع القوى الأجنبية المختلفة للهيمنة عليها ، إلى أن فتحها العثمانيون بدورهم عام ١٥٧١م ، وقاموا بتهجير آلاف من أتراك الأناضول إليها بغية تعميرها وإضفاء الطابع الحضاري التركي العثماني عليها .

وعلى مر السنين شكّل هؤلاء الأتراك جزءا لا يتجزأ من النسيج العرقي للشعب القبرصي ، بالطبع جنبًا إلى جنب مع القبارصة ذوي الأصول اليونانية الذين كانوا يقطنون في الجزيرة إبّان الفتح العثماني لها .

وظلت قبرص تنعم بالاستقرار والسلم الداخليين زهاء ثلاث قرون من الزمن هي فترة الحكم العثماني لها ، إلى أن آل حكمها للإنجليز عام ١٨٧٨ لتبدأ مرحلة جديدة من مراحل تاريخها زاخرة بالأحداث والانعطافات التاريخية الفارقة في مجرى تحولاتها ؛ إذ اتّبع الإنجليز سياسة أدت إلى تقسيم شعب الجزيرة إلى طائفتين متناحرين ، وزجّت بالبلاد إلى أتون صراع طائفي دموي ، تعرض الأتراك القبارصة خلاله لسلسلة من المذابح الجماعية والتهجير القسري قام بها شركاء الوطن من القبارصة اليونانيين ، استهدفت تصفية الوجود التركي بالكامل باعتباره العائق الوحيد أمام مشروع ضم الجزيرة إلى اليونان ؛ فما كان من القبارصة الأتراك إلا أن هبّوا للدفاع عن أنفسهم ، متمسكين بحقهم في الوجود على أرض قبرص ، رافضين خلعهم من أرضهم واقتلاعهم من جذورهم.

ولعل أهم ما يميز الرواية – عما سواها من الأجناس الأدبية الأخرى – هو ما تختص به من قدرة فائقة على تصوير حياة المجتمعات ومواكبة التحولات الكبرى والأحداث الجسام فيها ؛ فالروائي الحصيف هو لسان أمته المعبّر عن مكنون حالها ، وترجمان آلامها وآمالها . وعليه يمكن القول أن الروائي البارع هو الأقدر من سواه على تشخيص هوية مجتمعه والتعبير بدقة وعمق عن واقع ذلك المجتمع بكل أوضاعه السياسية وملابساته التاريخية والاجتماعية ، وكذلك التعبير عن هموم ذلك المجتمع وتطلعات أفراده ؛ الأمر الذي يرفع الفن الروائي إلى مصاف أقوى الوسائل الفاعلة والمؤثرة في استنهاض همم الشعوب ونفخ روح المقاومة والصمود فيها إزاء ما يمكن أن تواجهه من مصاعب أو تحديات.

وبناء على كل ما تقدم يلح على الأذهان عدد من التساؤلات باحثًة عمن يجيب عنها، ويستجلي الحقائق فيها ، من أبرزها :

١- هل استخدم القبارصة الأتراك الشكل الروائي ووظّفوه توظيفًا فنيًا كسلاح وإستراتيجية دفاع عن الوجود في مواجهة الآخر اليوناني (المعتدي) ؟ أو بعبارة أخرى : هل شكّل الفن الروائي لديهم شكلا من أشكال المقاومة ، ووسيلة للحث على الصمود ؟ وهل لعب دورا في معركتهم من أجل البقاء ؟

٢- ما مدى تفاعل الروائيين القبارصة الأتراك مع هموم شعبهم ، وما مدى توفرهم على توظيف الرواية إطارا فنيا ينطلقون من خلاله للتعبير عن وجهة نظرهم في القضية القبرصية والوضع الحرج والمأزوم للأتراك بالجزيرة ؟

٣ – هل استطاعت الرواية التركية القبرصية حقًا تمثيل مقاومة القبارصة الأتراك وصمودهم أمام أعدائهم تمثيلا فنيا لافتا ؟ وماذا عن أبرز تمثلات ذلك ؟ وما مدى تشكيل تلك الأعمال لوجدان الأتراك القبارصة ووعيهم بقضيتهم ؟

وتأتي هذه الدراسة محاولة متواضعًة للإجابة على تلك التساؤلات السابقة ، من خلال قراءة فاحصة ودراسة متأنية لأحد نماذج الرواية التركية القبرصية التي تندرج تحت ما يُسمى بأدب المقاومة ، وهي رواية هل نضج اليوسفي؟ (Yusufçuklar Oldu mu ?) للكاتب القبرصي التركي إسماعيل بوزقورت (İsmail Bozkurt) (١٩٤٠ -) والنظر فيها نظرة مدققة تستهدف الوقوف على أبرز تمثلات المقاومة والصمود التركي القبرصي فيها ، وتكثيف صور أساليبه النضالية .

أما **المنهج المتبع** – بشكل أساسي – في هذه الدراسة فهو « المنهج الوصفي التحليلي « إضافة إلى توظيف بعض المناهج الأخرى مثل المنهج التاريخي ، والمنهج الاجتماعي .

وانطلاقًا مما تهدف إليه هذه الدراسة ، فقد انقسمت إلى مقدمة ومدخل ومبحثين وخاتمة على النحو التالي :

– **المدخل** : يتصدر الدراسة ويعرّف بالقضية القبرصية ، وجذورها التاريخية ، والظروف التاريخية التي عاشها القبارصة الأتراك ، وما وقع بينهم وبين القبارصة اليونانيين من مصادمات دامية شكّلت الخلفية والإطار التاريخي لهذا النص الروائي . كذلك توجب منهجية الدراسة التعريف بإيجاز شديد بالرواية التركية القبرصية وأبرز إعلامها .

– **المبحث الأول** : ويأتي بعنوان : إسماعيل بوزقورت ، وروايته «هل نضج اليوسفي؟ « نموذجًا لأدب المقاومة . ويشتمل على التعريف بالكاتب ، ويقدم عرضا موجزا لأحداث الرواية . كذلك يعرّف بأدب المقاومة – الذي تنتمي إليه هذه الرواية – موضحًا أبرز سماته وأهدافه .

- **المبحث الثاني** : وهو بمثابة العمود الفقري للدراسة ، ويرصد تمثلات ثقافة المقاومة والصمود في الرواية موضع الدراسة .

- **الخاتمة** : وهي توجز أبرز ما توصلت إليه هذه الدراسة من نتائج.

المدخل

أ – إطلالة على الجذور التاريخية للقضية القبرصية :

يفرض الحس التاريخي والمنطقي على المتصدي لدراسة تمثلات ثقافة المقاومة والصمود في الرواية التركية القبرصية أن يتعرض لمجمل الأحداث التاريخية التي مرت بتلك الجزيرة ، وذلك حتى تتأتّى له القدرة على استكشاف هذه الأحداث ومدى انعكاسها في الأعمال الروائية التركية القبرصية ، ومعرفة الكيفية التي صوّر بها كتّابها أساليب مقاومة مواطنيهم لعدوهم .

قبرص – موقعها وأهميتها :

تُعد قبرص ثالث أكبر جزيرة في البحر المتوسط مساحًة بعد صقلية وسردينيا (Gürsoy, 2012, s.370/3)،إذ تبلغ مساحتها نحو ٩٢٥١ كم٢ ، وتقع في أقصى الطرف الشرقي منه . تبعد شواطئها الشمالية عن الشواطئ الجنوبية للأناضول مسافة ٧٥ كم ، وعن شواطئ سوريا مسافة ٩٣ كم . أما عن الشواطئ الجنوبية لليونان فتبعد مسافة ٢٠٠ كم . (سامي، ١٣١٤، ص ٣٥٩٤ /٢)

وبسبب قربها النسبي من الأناضول أكثر من أي إقليم آخر « فقد اعتبرها الجغرافيون الأتراك جزءًا من هضبة الأناضول وامتدادا جيولوجيا لها» (Gürsoy,1969,s.16)

ونظرا للموقع الاستراتيجي المهم الذي تحتله قبرص ، فقد ظلت طوال تاريخها مطمعًا للدول العظمى والإمبراطوريات الكبرى ، حيث غزاها فراعنة مصر ، والفرس ، والبطالمة ، واستولى عليها الرومان عام ٥٨ ق.م . وظلت تحت سيطرتهم إلى أن انتزعها ريتشارد قلب الأسد – ملك انجلترا – عام ١١٩٢ م ، واتخذها قاعدة لشن حملاته الصليبية على الشام ومصر ، إلا أنه تنازل عنها لملك القدس الصليبي المطرود جاي لوزنيان (Guy de Lusignan) ، ونصّبه ملكا عليها، وتعاقب نسله على حكمها إلى أن انقطع ، فآل حكم الجزيرة إلى البنادقة عام ١٤٨٩ . (Çevikel, 2006, s.37)

الحكم العثماني لقبرص (١٥٧١ – ١٨٧٨) :

فطن العثمانيون للأهمية الإستراتيجية لقبرص بالنسبة لهم ، وأحسوا بضرورة فتحها مدفوعين بعدد من الأسباب ، أبرزها رغبتهم في تعزيز سيطرتهم وهيمنتهم على البحر المتوسط بشكل قاطع ، حيث كانت الجزيرة في حوزة البنادقة منذ عام ١٤٨٩م ، وكانوا يدعمون أنشطة القرصنة . كذلك دأب هؤلاء القراصنة على اتخاذ قبرص قاعدة عسكرية لهم، يشنون هجماتهم من خلالها على سفن التجارة والحجيج المسلمين. (Uzunçarşılı ,1982,s.13)

وقد نجح العثمانيون في فتح قبرص عام ١٥٧١ في عهد السلطان سليم الثاني (١٥٦٦ – ١٥٧٤) . وكدأب العثمانيين فيما كانوا يفتحونه من بلاد ، حرصوا على إضفاء الطابع الحضاري العثماني على قبرص ؛ وعليه فقد « تقرر نقل ٥٧٢٠ أسرة من مختلف قرى ومدن الأناضول إلى قبرص ، كمرحلة أولى سواء بالتهجير القسري أو التشجيع ، إذ كان قد تبين بعد إجراء مسح شامل لقرى وضيعات قبرص وجود ٩٥٩ قرية و١١٣ ضيعة آهلة بالسكان مقابل ٤٩ قرية و١٨ ضيعة شاغرة ، وأن عدد

سكان الجزيرة غير كافٍ للدفاع عنها وإحداث التنمية الاقتصادية المنشودة بها . كما تقرر نقل أسرة من كل عشرة أسر من الصنّاع والمشتغلين بالتجارة من الأناضول إلى قبرص « (Çiçek,2012,s.376/1-2)

وقد حرص هؤلاء المهاجرون الأتراك على إقامة عمائرهم ومؤسساتهم الحضارية من جوامع وزوايا ومدارس وحمامات وأسواق وجسور وأسبلة ومبرّات ومؤسسات وقف فوق أرض قبرص شمالها وجنوبها على الطراز العثماني (İnce,1996,4-5) وبذلك اصطبغت كثير من المدن القبرصية بالصبغة التركية العثمانية إلى حد بعيد .

وظلت قبرص خاضعة للحكم العثماني بلا انقطاع زهاء ثلاثة قرون من ١٥٧١ – ١٨٧٨ ، عاشت خلالها الجزيرة أزهى عصورها استقرارا وعمرانا ورخاء ، حيث طبق العثمانيون نموذجا إداريا يسوده العدل يجمع بين الأتراك المسلمين واليونانيين الأرثوذكس في جو من السلام و الوئام . (Köse,2017,s.620)

وعلى الرغم من انعدام القاسم المشترك بين الطائفتين في اللغة والدين والعادات والأعراف فقد « اتسمت علاقات الجوار بين الطائفتين بالود والحميمية ، ولم يحدث أن تشكلت أحياء الأقليات المنعزلة اجتماعيا « الجيتو « ، وكان القبارصة الأتراك واليونانيون يمارسون بيع وشراء الدور والأراضي فيما بينهم بحرية تامة دون أي تقييد . وفي مطلع القرن/ ١٨ تحول ٣١ حي من أحياء نيقوسيه إلى أحياء مختلطة تجمع بين القبارصة الأتراك واليونانيين « (Çiçek,2012,378/3)

الاحتلال الانجليزي لقبرص (١٨٧٨-١٩٦٠) :

ظلت قبرص تشكل هدفًا ومطمعًا للدول الاستعمارية خاصة انجلترا

التي سعت إلى السيطرة عليها لإحكام هيمنتها على البحر المتوسط وطرق تجارتها إلى الهند. واستغل الإنجليز هزيمة العثمانيين هزيمة ساحقة أمام الروس في حرب ١٨٧٧ – ١٨٧٨ فأجبروهم على قبول اقتراح باستئجار الجزيرة – مؤقتا – مقابل الوقوف إلى جوار العثمانيين في الدفاع عن ممتلكاتهم في آسيا ضد الروس . (Meram,1969,s.157)

ومنذ ذلك التاريخ أُسدل الستار على حقبة الهدوء والاستقرار في قبرص والتي امتدت زهاء ثلاثة قرون . فما أن آل حكم الجزيرة إلى الإنجليز لم يتوانوا في تشجيع الطائفة اليونانية القاطنة في الجزيرة ، ومنحها كافة التسهيلات والامتيازات التي تساعد على زيادة عددها ، وفي الوقت ذاته ضيّقوا الخناق على أبناء الطائفة التركية ؛ « ففي حين أقصوا الأتراك عن الوظائف القائمين بها عينوا اليونانيين في المناصب الرفيعة ، وذلك بهدف إبعاد الأتراك عن الإدارة وإنهاء الحكم التركي للجزيرة واستمالة اليونانيين إليهم . مما حدا بأتراك الجزيرة – ممن ساءت أحوالهم الاقتصادية نتيجة لتلك الإجراءات الجائرة – إلى بيع أراضيهم وأملاكهم والنزوح من الجزيرة إلى الأناضول ، فاشتراها اليونانيون بدورهم ، مما أدى إلى تعاظم نفوذهم الاقتصادي بالجزيرة . وقد ساعدت الكنيسة الأرثوذوكسية اليونانيين في شرائهم لأملاك الأتراك ، ورأت أن ذلك أفضل طريق لطرد الأتراك من الجزيرة» (Yüksel,2009,s.163) مما أحدث خللا في التركيبة السكانية للجزيرة ورجّح كفة القبارصة اليونانيين على كفة القبارصة الأتراك .

ولعل هذه الإجراءات التي اتخذها الإنجليز في قبرص تشبه إلى حد بعيد تلك الإجراءات التي اتخذوها إبان فترة انتدابهم في فلسطين من أجل تهويدها ومساعدة الصهاينة على إنشاء وطن قومي لهم فوق التراب العربي الفلسطيني .

وحينما نشبت الحرب العالمية الأولى ودخلت الدولة العثمانية الحرب إلى جانب ألمانيا ، قامت بريطانيا في ٥ نوفمبر ١٩١٤ بضم قبرص رسميا إلى ممتلكاتها ، وأنهت بذلك تبعيتها الاسمية للدولة العثمانية . Alasya, 2012,s.380))

ومع حلول الخمسينيات من القرن العشرين نشأت في قبرص منظمة يمينية متطرفة سرية أسسها وتزعمها القبارصة اليونانيون سُميت ((Ethniki Organosis Kyprion Agoniston بمعنى المنظمة القومية للمحاربين القبارصة ، والمعروفة اختصارا باسم أيوكا (EOKA) تبنت فكرة الاستقلال عن بريطانيا والاتحاد مع اليونان (Sönmezoğlu,1988,s.62/2). وقد ساندت اليونان بدورها هذه الحركة ، وأمدتها بالأموال والأسلحة . (Alasya,2012,s.380/3)

بدء المصادمات الدامية بين القبارصة الأتراك واليونانيين بالجزيرة :

شنت قوات منظمة (أيوكا) حرب عصابات ضد الإدارة الانجليزية في الجزيرة في الفترة من ١٩٥٥– ١٩٥٩، ومن جهة أخرى دشّنت عمليات الإبادة الجماعية والإرهاب ضد القبارصة الأتراك لتخلو الجزيرة لهم دون سواهم . (Sönmezoğlu,1988,s.62/2)

أحس الأتراك بضرورة تشكيل منظمات لحماية أنفسهم وأملاكهم من هجمات منظمة (أيوكا) الموجهة ضدهم ، فشكلوا في ١ أغسطس ١٩٥٨ منظمة خاصة بهم سُميت باسم منظمة المقاومة التركية « Türk Mükave-met Teşkilatı » (T.M.T) إلا أن هذه المنظمة كانت ضعيفة قياسًا بمنظمة (أيوكا) اليونانية. (Alasya,2012,s.380/3)

استمرت الاضطرابات والمصادمات الدامية بين الطائفتين : التركية واليونانية وبذل الوسطاء الدوليون جهودا لنزع فتيل الأزمة والتقريب بين وجهات نظر طرفي النزاع وهما الأتراك الذين راحوا يطرحون فكرة

تقسيم الجزيرة واليونانيون الذين تبنّوا الفكرة المعروفة بالـ «إنوسيس» (Enosis) أي ضم جزيرة قبرص إلى اليونان . وأسفرت جهود الوساطة عن فكرة استقلال الجزيرة التي أيدتها بريطانيا واليونان وتركيا والولايات المتحدة الأمريكية . وتم التوقيع على اتفاقيتي (زيورخ) في ١١ فبراير ١٩٥٨ و(لندن) في ١٩ فبراير ١٩٥٩ بين بريطانيا وتركيا واليونان لتنظيم العلاقات بين الطائفتين في الجزيرة من جهة ، وتنظيم العلاقة بين الجزيرة وكل من تركيا واليونان وبريطانيا من جهة أخرى . (Gazioğlu,2000,s.49-52)

استقلال قبرص وتواصل الصدام الدامي بين الأتراك واليونانيين :

أُعلنت جمهورية قبرص المستقلة في منتصف ليلة ١٦ أغسطس ١٩٦٠ وأُقر دستور ينص على تقسيم المناصب السياسية والوزارات العشر على الطائفتين بواقع سبع وزارات لليونانيين وثلاث للأتراك ، وأُسند منصب رئيس الجمهورية الوليدة للأسقف مكاريوس (١٩١٣-١٩٧٧) (*١) ، أما منصب نائب الرئيس فكان من نصيب الدكتور فاضل كوچوك (Fazıl Küçük) (١٩٠٦ – ١٩٨٤) .(**٢)

(١)* - الأسقف مكاريوس (١٩١٣ – ١٩٧٧) :
هو ميخائيل خرستودولوس (Mihail Hristodulos) الملقب بمكاريوس ، سياسي ورجل دين ، يوناني قبرصي . ولد بقرية بانو بانايا (Pano Panagia) التي تبعد مسافة ٣٠ كم عن مدينة (باف) الواقعة جنوب غربي قبرص . درس اللاهوت في جامعة أثينا ، ثم درس الحقوق . دخل المعترك السياسي زعيما لحركة الإنوسيس التي كانت تستهدف الاستقلال الجزيرة عن انجلترا وإلحاقها باليونان . انتُخب رئيسا لأساقفة الكنيسة القبرصية الأرثوذكسية عام ١٩٥٠ . نفاه الإنجليز إلى جزيرة سيشل عام ١٩٥٦ . إلا أنهم أطلقوا سراحه في العام الذي يليه شريطة عدم عودته إلى قبرص. شارك في مؤتمري زيورخ ولندن ممثلا عن الطائفة اليونانية القبرصية ، ثم انتخب رئيسا لجمهورية قبرص بعد استقلالها عن التاج البريطاني عام ١٩٦٠. أطاح به انقلاب عسكري قادته عناصر يونانية في يونيو ١٩٧٤ وتمكن من الهرب إلى إنجلترا بمساعدة القاعدة الانجليزية الموجودة بالجزيرة. تمكن من العودة مجددا إلى قبرص في ديسمبر ١٩٧٤ ليشغل منصب رئيس جمهورية الشطر الجنوبي من قبرص حتى وفاته عام ١٩٧٧ . (Aonim, 1992 , s. 810 /1)

(٢)**- فاضل كوچوك (١٩٠٦ – ١٩٨٤) :
طبيب ومفكر وسياسي تركي قبرصي . أحد رموز النضال الوطني للشعب التركي القبرصي . وُلد بـ» نيقوسيه « . درس الطب في جامعات لوزان وإستانبول . أسس جريدة صوت الشعب (Halkın Sesi)عام ١٩٤٣ . عُين نائبا لرئيس جمهورية قبرص التي تأسست عام ١٩٦٠ ، وبعد فترة من نشوب الخلاف بين الطائفتين التركية واليونانية ، ترك مكانه لرءوف دنكطاش ، واعتزل العمل السياسي . توفي عام ١٩٨٤ . (Anonim, 1992 , s.739/1)

وفي عام ١٩٦٣ سعى مكاريوس إلى إجراء تعديلات دستورية « استهدفت إلغاء الحقوق المعترف بها للأتراك وتصفية الوجود التركي بالجزيرة « Gazioğlu,2002,951)) ، مما أدى إلى وقوع اضطرابات ، تحولت إلى مصادمات دامية بين الطائفتين ، وتعرض الأتراك لمذبحة جماعية مروّعة في ٢١ ديسمبر ١٩٦٣ عُرفت تاريخيا بمذبحة عيد الميلاد الدامية (Kanlı Noel) . وقد راح ضحيتها ٣٦٤ من الأتراك القبارصة ، وأُجبر ٢٥٠٠٠ منهم على ترك منازلهم (Arık,2011,s.6) مما دعا الأمم المتحدة إلى إرسال قوات حفظ السلام إلى الجزيرة عام ١٩٦٤ . (Güler,2004,s.107) إلا أن وجود تلك القوات لم يحل دون تصاعد وتيرة اعتداءات اليونانيين على الأتراك بالجزيرة .((Gazioğlu,2002,s.958

الانقلاب العسكري في قبرص وتداعياته :

وفي ١٥ يوليو ١٩٧٤ شهدت قبرص انقلابا عسكريا قامت به عناصر قبرصية يونانية متشددة كانت تسعى قُدُمًا لضم الجزيرة إلى اليونان . وفي الأيام الأولى من الانقلاب عينت الحكومة العسكرية في آثينا نيكوس سامسون (Nikos Samson) الذي كان من أبرز قيادات (أيوكا) ، ومعروفًا بتشدده وعدائه الشديد للأتراك (Güler,2004,s.109) . وباتت الأوضاع في الجزيرة تُنذر بتعرض القبارصة الأتراك لكارثة الإبادة الجماعية . (Alasya,2012,s.382/2)

وعلى أثر ذلك الانقلاب وما أعقبه من تداعيات خطيرة تنذر بأوخم العواقب قامت تركيا ــ للحيلولة دون وقوع إبادة جماعية بحق الطائفة التركية ــ بغزو عسكري لشمال الجزيرة في الفترة من ٢٠ ــ ٢٣ يوليو ١٩٧٤ ، وإنزال أكثر من ٦٠٠٠ جندي به ، اتكاء على معاهدة الضمان مع اليونان وإنجلترا التي تجيز لتركيا ولغيرها من الدول الموقعة عليها

التدخل بشكل فردي أو جماعي مع باقي الأطراف لإعادة الاستقرار إلى نصابه في الجزيرة إذا حدث اضطراب داخلي بها (Gazioğlu,2002,s.963).

واستطاعت القوات التركية فرض هيمنتها على القطاع الشمالي بالكامل والذي يشكل نحو ٤٠ ٪ من المساحة الإجمالية لقبرص. وردًا على ذلك حاصر القبارصة اليونانيون القرى ذات الأغلبية التركية الواقعة خارج حدود المنطقة التي استولت عليها القوات التركية ، وارتكبوا مجازر وحشية بحق سكانها من الأتراك العُزّل . كما قاموا باعتقال رجال الأتراك من قرى لارنقه (Laranka) (*٣) ، وليماسول Limasol)) (**٤)، وباف (Baf) (***٥) في معسكرات للأسرى شكلوها من ملاعب كرة القدم ، ومارسوا عليهم شتى ألوان التعذيب . (Gazioğlu,2002,s.964)

اجتمع مجلس الأمن في ١ نوفمبر ١٩٧٤ وأصدر قراره رقم ٣٢١٢ والذي دعا فيه إلى وقف إطلاق النار بين الجانبين التركي واليوناني ، وشدد على احترام سيادة الجمهورية القبرصية الموحّدة ، وانسحاب كافة القوات الأجنبية منها وعودة المهجّرين إلى منازلهم . (Arık,2011,s.19) .

ولما لم تنته المفاوضات التي جرت عامي ١٩٧٤ و١٩٧٥ إلى تسوية مُرضية للأزمة أعلن القبارصة الأتراك القطاع الشمالي من قبرص منطقة حكم ذاتي ، أطلقوا عليها «دولة قبرص التركية الفيدرالية « وذلك في ١٧ يونيو ١٩٧٥ . (Arık,2011,s.20)

---

*(3)(Laranka) : لارنقه
مدينة ساحلية وميناء تبعد ٣٤ كم عن جنوب شرقي نيقوسيه . (سامي ، ١٣١٤ ، ص ٢/٣٩٦٥)

**(4)(Limasol): - ليماسول
مدينة قبرصية تقع على الشاطئ الجنوبي للجزيرة ، على مسافة ٦٤ كم جنوب غربي نيقوسيه (سامي ، ١٣١٦ ، ص ٤٠٦٢ / ١)

***(5)Baf: باف
أصغر مدن قبرص.تقع جنوب غربي الجزيرة،وتبلغ مساحتها ٤٠٠ كم٢. (سامي ،١٣١٦،ص ١١٩٩) .

إعلان جمهورية قبرص الشمالية التركية (١٩٨٣) :

وحينما أيقن القبارصة الأتراك أنه ليس لدى اليونانيين أي استعداد لقبول فكرة الدولة الفيدرالية ، أعلنوا في ١٥ نوفمبر ١٩٨٣ شمال قبرص جمهورية مستقلة تحت اسم «جمهورية قبرص الشمالية التركية » ، وتولى رئاستها رءوف دنكطاش (Rauf Denktaş) [٦]، ولم تعترف بها سوى أنقره ، وصدر قرار مجلس الأمن رقم ٥٤١ في ١٨ نوفمبر ١٩٨٣ والذي يرفض الاعتراف بالدولة الوليدة ويناشد جميع الدول عدم الاعتراف بها، والاعتراف فحسب بدولة قبرص الموحدة بشطريها الشمالي والجنوبي. (Güler,2004,s.111)

وعلى الرغم مما بذله الوسطاء الدوليون من جهود لإعادة توحيد الجزيرة ، ورغم التقارب الحادث بين تركيا واليونان في العقود الثلاثة الأخيرة ، ظلت القضية تبدو وكأنها عصية الحل بسبب تعارض وجهات نظر الطرفين خاصة فيما يتعلق بقضايا اللاجئين وممتلكات الأفراد الذين اضطروا لترك ديارهم فرارًا من جحيم الحرب .

ب – نشأة الرواية التركية القبرصية ، وتطورها ، وأبرز أعلامها :

تُعد الرواية التركية القبرصية جزءا من المنتج الروائي التركي ، وامتدادا طبيعيا له ، استطاعت أن تواكبه وتتماهى به وتعبر عن كافة التحديات والصعوبات التي واجهها الأتراك عبر تاريخهم فوق أرض قبرص

(٦) - رءوف دنكطاش (١٩٢٤ – ٢٠١٢) :
محام وسياسي وكاتب تركي ، قبرصي . ولد في مدينة باف (Baf) الواقعة جنوب غربي قبرص . درس الحقوق في لندن ، وعاد منها إلى قبرص عام ١٩٤٧ ليعمل بالمحاماة . عُين نائبا للمدّعي العام في الفترة من ١٩٥٠ – ١٩٥٧ . وكان أحد أبرز مؤسسي منظمة المقاومة التركية في يونيو ١٩٥٧ . انتُخب رئيسا لما أُطلق عليه» دولة قبرص التركية الفيدرالية « عام ١٩٧٥ ، كما انتُخب أول رئيس لجمهورية قبرص الشمالية التركية التي لم يعترف بها أحد سوى تركيا . ويُعد دنكطاش الأب الروحي للقبارصة الأتراك. (Anonim,١٩٩٢,s.٢/٢٣٦)

بدءًا من الاحتلال الانجليزي للجزيرة في الفترة من(١٨٧٨- ١٩٦٠) وصولا إلى اندلاع المصادمات الدامية بين الطائفتين : التركية واليونانية عام ١٩٥٥ ، وما تعرض له الأتراك من مذابح وتهجير قسري ، وانتهاءً بالتدخل العسكري التركي في الجزيرة عام ١٩٧٤ وإعلان القبارصة الأتراك عن قيام جمهورية شمال قبرص التركية عام ١٩٨٣ .

قايتاز زاده محمد ناظم (١٨٥٧ ــ ١٩٢٤) وأول رواية تركية قبرصية محلية :

والواقع أنه ما من حديث عن بزوغ فجر التأليف الروائي التركي القبرصي يمكنه تجاهل فضل قايتاز زاده محمد ناظم [٧] فيما يتصل بنشأة فن الرواية لديهم ، وذلك بإصداره لروايته المحلية المسماة تذكار المحبة (يادگارِ محبت) عام ١٨٩٤ وهو العمل الذي يصطلح مؤرخو الأدب التركي القبرصي على اعتباره باكورة التأليف الروائي التركي القبرصي (Yücel,1988,s.132) . وقد صدرت هذه الرواية بعد إصدار الصدر الأعظم يوسف كامل باشا(١٨٠٨- ١٨٧٦) روايته المترجمة عن الفرنسية (تليماك) للروائي فنالون بـ ٣١ عاما (Kudret,1979,s.12) ، وبعد صدور رواية (تعشق طلعت وفطنت) لشمس الدين سامي (١٨٥٠- ١٩٠٤) التي كانت أول رواية تركية محلية بـ ٢١ عام . (Kudret,1979,s.74)

أما العمل الروائي الثاني لقايتاز فقد جاء بعنوان ليلة وصال (ليلهء وصال) وكان قد بدأ نشره على شكل حلقات مسلسلة في إحدى الصحف ، إلا أنه توقف دون أن يكتمل لسبب غير معلوم . (Atun ,2011,s.33)

(٧) - قايتاز زاده محمد ناظم (١٨٥٧ - ١٩٢٤) :
شاعر وكاتب روائي تركي قبرصي . ولد بمدينة نيقوسيه ، و بها أتم تعليمه ، ثم غادرها ليعمل موظفا حكوميا في جزيرة ساقيز (خيوس) ، ثم آدنه من ولايات الدولة العثمانية . ثم عاد بعد ذلك إلى قبرص وظل يعمل في المحكمة الشرعية لنيقوسيه حتى وفاته . ويُعد قايتاز زاده من الشعراء الأتراك القبارصة المجيدين إلى جانب كونه رائدا للفن الروائي التركي القبرصي . (Yücel, 1988 , s.131)

حكمت عفيف مابولار(Hikmet Afif Mapolar)(١٩١٩ – ١٩٨٩) :

ومـــرت الروايـــة التركيـــة بعـــد ذلـــك بســـنين عجـــاف حتـــى ظهـــر فـــي الثلاثينيـــات مـــن القـــرن العشـــرين الكاتـــب حكمـــت عفيـــف مابـــولار (١٩١٩ – ١٩٨٩) [٨] والـــذي « يتبـــوأ مكانـــة مرموقـــة فـــي مســـيرة الروايـــة التركيـــة القبرصيـــة « (Atun,2010,s.88) لمـــا كان يتمتـــع بـــه مـــن موهبـــة فنيـــة رفعتـــه إلـــى مصـــاف الروائيـــين المجيديـــن وجعلتـــه « يســـهم بشـــكل مؤثـــر فـــي إرســـاء دعائـــم الروايـــة التركيـــة القبرصيـــة وتطورهـــا « (Atun ,2010,86) وذلـــك بتـــراث روائـــي يبلـــغ نحـــو عشـــرين روايـــة تصـــور الشـــخصية التركيـــة القبرصيـــة بكافـــة ســـماتها وخصائصهـــا وعاداتهـــا وتقاليدهـــا وطبيعـــة حياتهـــا الاجتماعيـــة «(Atun,2011,s.25)

ومـــن أشـــهر أعمـــال حكمـــت عفيـــف الروائيـــة: النمـــر البطـــل Kahraman Kaplan ١٩٣٦ ، وزهـــرة الشـــوك Diken Çiçeği)) ١٩٣٩ ، والجنـــون الأخيـــر (Son Çıldırış) ١٩٣٩،الشـــعلة Meşale)) ١٩٤٢،والـــوردة البيضـــاء ((Beyaz Gül (Fedai,1997,s.271).١٩٦٢

وجنبـــا إلـــى جنـــب مـــع أعمـــال حكمـــت عفيـــف ، توالـــى ظهـــور عـــدد مـــن الروايـــات لكتّـــاب قبارصـــة أتـــراك ، إلا أنـــه يُلاحـــظ أنهـــم لـــم يكونـــوا وفيـــري الإنتـــاج ، إذ لـــم يكـــن يتعـــدى إنتـــاج الكاتـــب الواحـــد منهـــم أربـــع روايـــات كحـــد أقصـــى . ومـــن أبـــرز روايـــات تلـــك الفتـــرة التـــي امتـــدت مـــن الثلاثينيـــات وحتـــى الســـتينيات مـــن القـــرن العشـــرين : مســـافرو الســـعادة Saadet Yolcuları)) ١٩٤٠ للكاتـــب إســـماعيل ألـــب تكيـــن قـــرا گـــوزلى İsmail Alptekin Karagözlü ، وجهنـــم بـــلا نـــار ((Ateşsiz Cehennem ١٩٤٤ لـــرءوف دنكطـــاش ((-Rauf Denk

(٨) - حكمت عفيف مابولار :
روائي وقصاص وشاعر وكاتب مسرحي ، تركي قبرصي . ولد في گرنه(Girne) شمالي قبرص ١٩١٩. دخل عالم الكتابة عام ١٩٣١ كمراسل في جريدة الأمة البريئة (Masum Millet). وفي تلك الأعوام بدأ يبزغ نجمه بكتاباته القصصية في الصحف القبرصية مثل : صوت الشعب (Halkın Sesi) ، والكلمة الحرة (Hür söz) . كما أصدر جريدة الثورة ((Devrim .
ويُعد (مابولار) أكثر كتّاب جيله إنتاجا في الرواية والقصة القصيرة والمسرح. (Kolcu,2004,s.652)

taş (١٩٢٤– ٢٠١٢) ، والنجوم الخافتة (Sönen Yıldızlar) ١٩٥٢ للكاتب أرگون ف . قورقوت (Argun F. Korkut) ، ورواية أغلقت كل الأبواب (Bütün Kapılar Kapandı) ١٩٥٥ ، ورواية أشجار المطر (Yağmur Ağaçları) ١٩٦٠ للكاتب فكرت دميراغ (Fikret Demirağ).

وتأتي بعد ذلك الحقبة الممتدة من ١٩٦٥ – ١٩٧٤ ، وهي « حقبة المقاومة الوطنية في الأدب التركي القبرصي» (kolcu,2010,s.650). فبالتزامن مع بدء الأعمال الإرهابية لمنظمة (أيوكا) ضد القبارصة الأتراك منذ ١ إبريل ١٩٥٥ بدأت تظهر العاطفة الوطنية وتعلن عن نفسها في الأعمال الروائية القبرصية ، وتمحورت موضوعات المنتج الروائي آنذاك حول ما كانت تشهده الطائفة التركية القبرصية من أحداث جسام مثل مذبحة رأس السنة الدامي عام ١٩٦٣ ، وصمود الشباب الأتراك القبارصة واستبسالهم في الدفاع عن أرن كوى (Eren Köy) [٩] عام ١٩٦٤ ، وكذلك المذابح الجماعية

(٩) - ملحمة أرن كوي :
هي ملحمة عسكرية سجلها الشباب التركي القبرصي دفاعا عن قرية ارن كوى (Eren Köy) الساحلية الواقعة شمال غربي قبرص ،والتي كانت ذات أهمية إستراتيجية بالنسبة للأتراك القبارصة باعتبارها بوابتهم المفتوحة على الأناضول ، ولكونها كذلك رأس المعبر الذي تزود تركيا من خلاله عناصر منظمة المقاومة التركية في قبرص بالأسلحة والذخائر لمواجهة الاعتداءات اليونانية الرامية إلى اقتلاعهم وطردهم من الجزيرة. وقد بدأت هذه الملحمة في ٢٦ يناير ١٩٦٤ حينما حاصر القبارصة اليونانيون - تدعمهم اليونان عددا وعتادا - القرى التي تجمع بها القبارصة الأتراك وفي مقدمتها ارن كوي ، وبوزداغي (Boz dağı) ومنصوره (Mansura)) وسلجوق (Selçuk) ، وقطعت الطرق المؤدية إليها ، ومنعت دخول المواد الغذائية والأدوية إليها ، حتى سقطت تلك القرى في أيديهم ، ولم يبق أمامهم سوى اجتياح أرن كوي، فهب نحو ٥٠٠ من طلاب الأتراك - ممن كانوا يستكملون تعليمهم الجامعي في تركيا وانجلترا - للدفاع عن (أرن كوى) ، فأقلتهم ذوارق الصيد التركية على نفقاتهم الخاصة وصعدوا إليها بدءا من ٣١ مارس ١٩٦٤، واستبسلوا في الدفاع عنها ضد القوات اليونانية التي كانت تفوقهم عددا وعتادا ، ودارت بين الفريقين أقسى المعارك وأكثرها دموية في تاريخ المصادمات بين الأتراك واليونانيين على أرض الجزيرة ، أبلى فيها الأتراك بلاء حسنا ، إلى أن تدخل سلاح الطيران التركي بـ ٦٤ طائرة في ٩ أغسطس ، وتم الاتفاق على وقف إطلاق النار بين الطرفين المتحاربين في ١٠ أغسطس ١٩٦٤ . (Taşkın ve Tuncel,٢٠١٧,s.٥٧٥,٥٧١,٥٥٦)
وتعد ملحمة أرن كوى علامة فارقة وانعطافة حقيقية في مسيرة المقاومة التركية من أجل التمسك بالبقاء في قبرص حتى إن رءوف دنكطاش زعيم الأتراك القبارصة يصفها بأنها ملحمة (چناق قلعه) أخرى في تاريخ الأتراك القبارصة . (Taşkın &Tuncel,2017 ,s.580)

وحركات التطهير العرقي التي تعرضوا لها عقب انقلاب ١٥ يوليو ١٩٧٤ ، والتدخل العسكري التركي في شمال قبرص بعد خمسة أيام من وقوع ذلك الانقلاب لإنقاذ الأتراك القبارصة . (Atun ,2010,s.105-106)

ومن أبرز الروايات الممثلة لتلك الحقبة وواقعها التاريخي رواية : المجاهدون (Mücahitler) ١٩٧٠ للكاتب أوزكر ياشين – Özker Yaşın (١٩٢٦ – ٢٠١١)، والتي تغير عنوانها في طبعتها الثانية عام١٩٧٤ إلى المقاتلون في قبرص (Kıbrısta Vuruşanlar) . وهي « أول رواية تتناول المقاومة التي بدأت بأحداث ١٩٦٣ ، وقد صوّر الكاتب فيها ملحمة الأتراك القبارصة في (أرن كون) التي شهد أحداثها ورآها رأي العين ، مع الالتزام بالوقائع التاريخية مما يجعل روايته هذه بمثابة تأريخ غير رسمي لتلك الملحمة » (Atun,2010,s.163)

الرواية التركية القبرصية بعد ١٩٧٤ :

لم تشهد الرواية التركية في حقبة ما بعد ١٩٧٤ اختلافا كبيرا عما قبلها خاصة فيما يتعلق بالمضامين التي تناولتها ، إذ ظل تصوير يوميات المقاومة والصمود الوطني للشعب التركي القبرصي هو الموضوع الأثير لدى مؤلفيها . كما صوّرت الأعمال الروائية لتلك الحقبة ما خلفته الحرب من آثار نفسية على القبارصة الأتراك وأظهرت معاناتهم جراء الحرب والتهجير القسري ، وكشفت عن حنينهم واشتياقهم الجارف إلى أراضيهم التي تركوها. (Bali ,1998,s.207-208)

ومما يلاحظ أيضا على الرواية التركية القبرصية في تلك الحقبة هو زيادة عدد روايات السيرة الذاتية والروايات التسجيلية الوثائقية التي وثّقت ما عاشه القبارصة الأتراك من ظروف تاريخية بالغة الحرج ، وشكّلت شواهد صدق على تأثر كتّابها بأحداث تلك الحقبة التاريخية ،

وتفاعلهم وجدانيا معها وتعبيرهم روائيا عنها . (Atun,2010,s.162)

أما أبرز النماذج الروائية الممثلة لتلك الحقبة فمنها مثلا : رواية هل نضج اليوسفي؟ (Yusufçuklar oldu mu) ١٩٩١ موضع هذه الدراسة ، ورواية الشواية (Mangal) ١٩٩٥ لإسماعيل بوزقورت (İsmail Bozkurt) (١٩٤٠ -) ، ورواية معالم في الذاكرة (Bellekteki izler) للكاتب بكر قرا (Bekir Kara) (1945 -) . (Karakartal,2012,s.524/2)

هذه هي الرواية التركية القبرصية باختصار منذ نشأتها في العقد الأخير من القرن التاسع عشر ، وحتى التدخل العسكري التركي في الجزيرة عام ١٩٧٤ وتداعياته . ولعل أهم ما يمكن أن يُقال عنها هو التحامها بالواقع التركي القبرصي المأزوم بالجزيرة ، ومعالجتها لقضية صراعهم مع الآخر اليوناني ، وتمسكهم بحقوقهم التاريخية في العيش على الجزيرة باعتبارهم جزءا لا يتجزأ من النسيج العرقي للشعب القبرصي .

***

المبحث الأول

إسماعيل بوزقورت ، وروايته «هل نضج اليوسفي؟»

(نموذجًا لأدب المقاومة)

أ ــ التعريف بالكاتب :

هو إسماعيل بوزقورت (İsmail Bozkurt) : روائي وقصاص وسياسي تركي ، قبرصي. وُلد عام ١٩٤٠ في قرية بوغاز ايچي(Boğaziçi)) التابعة لمدينة لارنقه (Laranka) الواقعة جنوبي قبرص . درس في قبرص حتى المرحلة الثانوية . وشأنه شأن معظم شباب القبارصة الأتراك استكمل دراسته الجامعية في تركيا حيث تخرج في كلية العلوم السياسية – جامعة أنقره عام ١٩٦٢. (Kolcu,2004,s.674)

أحس (بوزقورت) منذ صغره بشغف تجاه الفن الروائي ، وبرغبة في قراءة الروايات وكتابتها ، إلا أن انشغاله بالعمل السياسي والنضالي حال بينه وبين تنفيذ تلك الرغبة ، فاضطر إلى إرجائها . (Çiftlikçi ,1999,s.118)

خضعت حياة (بوزقورت) لعدد من المؤثرات أسهمت في بروز ثقافة المقاومة وطغيان حضورها في أعماله ، أهمها تهجيره قسريا من جنوب قبرص إلى شمالها . فضلا عن تراثه وتاريخه النضالي الطويل الذي بدأ مبكرا منذ أن كان في المرحلة الثانوية حين انخرط في صفوف منظمة المقاومة التركية (T.M.T) ، وشارك في معركة البقاء التي خاضها مع إخوته من القبارصة الأتراك قائدا لكتائب المناضلين في قرية (بوغاز ايچي) مسقط رأسه ، فكانت يومياته وما شهده من أحداث في تلك

المعارك هي المادة الخصبة التي صاغ منها العديد من أعماله الروائية الأخرى مثل : ربما ذات يوم (Bir Gün Belki) ٢٠٠٢ وفي ليلة ما (Bir Gecede) ٢٠٠٥ (Atun,2010,s.175)

خاض (بوزقورت) المعترك السياسي بعد توقف المصادمات بين الطائفتين في خريف عام ١٩٦٧ ، وفاز بعضوية البرلمان لثلاث دورات متتالية أعوام ١٩٧٦ ، و١٩٨١، و١٩٨٥ عن حزب التحرير الاشتراكي . كما تولى وزارة السياحة والثقافة في الحكومة الائتلافية التي تشكلت عقب انتخابات ١٩٨٥ . (Çiftlikçi,1999,s.119)

اعتزل (بوزقورت) العمل السياسي منذ عام ١٩٩٥ وتولى رئاسة مركز الدراسات القبرصية جامعة شرق البحر المتوسط (Fedai,1997,s.410).

أصدر (بوزقورت) باكورة أعماله الروائية هل نضج اليوسفي (Yu-sufçuklar oldu mu ?) عام ١٩٩١ ، فأحدثت الكثير من ردود الأفعال الإيجابية والسلبية أيضا . ويرى الكاتب أن كثرة ردود الأفعال هذه أعطته انطباعا بأنه وُفق -بدرجة ما - في مسعاه ، وحقق مراده . يعبر عن ذلك بقوله « كانت هذه الانطباعات حافزا لي للاستمرار وكتابة المزيد من الروايات « (Çiftlikçi,1999,s.118) ، ولم يلبث أن أعقب روايته الأولى بروايته الثانية المعنونة بـ «الشواية» (Mangal) ١٩٩٥ مؤكدا قدرته على كتابة المزيد من النصوص الروائية .

أما عن أبرز السمات المميزة لأبطال رواياته فتتلخص في أنهم مثقفون ومناضلون على وعي كامل بمسئولياتهم تجاه شعبهم ومجتمعهم الذي يعيشون فيه . ففي حين يقدم أحد النقاد روايته «هل نضج اليوسفي ؟ « للقراء في مقال له بعنوان « هل نضج اليوسفي؟ كتاب جديد للكاتب القبرصي إسماعيل بوزقورت: مغامرة شعب –Kıbrıslı yazar

İsmail Bozkurt'un yeni kitabı Yusufçuklar oldu m? Bir Halkın Serüveni (Buyrukçu,1991,s.7) ، يقول عنها آخر في كلمة الغلاف الخلفي للرواية أنها « رواية مثقف ... مثقف شريف واع بمسئولياته تجاه وطنه « (Boz-kurt,2007,s.arka kapak)

ولقد تعددت الجوائز التي حازتها روايات (بوزقورت) فكان من بينها : الجائزة الأدبية لوقف نجاتي أوزقان Necati Özkan)) عام ١٩٩٢عن رواية «هل نضج اليوسفي ؟ «، وللمرة الثانية عام ١٩٩٥ عن رواية الشوّاية Mangal)) . بالإضافة إلى جائزة وقف كتّاب وفناني العالم التركي TÜRKSAV عام ١٩٩٩ ، وجائزة خدمة الثقافة الشعبية التركية من مجمع الدراسات الفلكلورية عام ١٩٩٩.(Bektaş ,2012,s.3-4)

وتبقى ملاحظة أخيرة تتعلق بمعجم (بوزقورت) اللغوي الذي عوّل عليه في كتابة رواياته ، ألا إنه كان معجمًا زاخرًا بالمفردات والتعبيرات والأمثال التركية الخاصة بالطائفة التركية القبرصية . وعليه فقد دأب على تذييل كل أعماله الروائية بمعجم صغير يشتمل على أهم تلك الكلمات والمفردات التي يتعذر فهمها على غير المنتمين للطائفة التركية في قبرص. (Bozkurt,2007,s.189-190)

ب - رواية «هل نضج اليوسفي؟ « نموذجا لأدب المقاومة :

تقع هذه الرواية في ١٨٧ صفحة من القطع المتوسط ، وتدور أحداثها حول كمال المثقف والمناضل التركي القبرصي صاحب التاريخ النضالي المسلح ضد القبارصة اليونانيين ، والذي يرتقي سلم الوظيفة الحكومية عن جدارة واستحقاق حتى يصل إلى درجة مستشار في إحدى الوزارات . ورغم تقلده هذا المنصب رفيع المستوى يظل يعيش عيشة بسطاء الناس مع زوجته عائشة وابنه دوغوش (Doğuş) في إحدى شقق

الإسكان الاجتماعي في نيقوسيه . وكانت زيجته هذه زيجة تقليدية نزولا على رغبة أبيه أي عن غير حب ، فهو لم يحب عائشة ، إذ كانت تربطه قصة حب بنيلوفر (Nilüfer) الفتاة التركية التي كانت تقطن إستانبول والتي تعّرف عليها إبان دراسته الجامعية في تركيا . وعلى خلفية اندلاع المصادمات بين القبارصة الأتراك واليونانيين في بدايات الستينيات من القرن العشرين يضطر كمال إلى ترك الدراسة في تركيا والعودة إلى قبرص من أجل الانضمام لحركة المقاومة التركية ضد اليونانيين لتنقطع صلته بنيلوفر ، ويفشل في العثور عليها ثانية لدى عودته إلى تركيا بعد توقف الحرب . ويضطر كمال إلى الزواج من عائشة رغم عدم استطاعته نسيان حبه الأول ، فتتسم علاقته بزوجته عائشة بالفتور العاطفي . في حين تتزوج نيلوفر من تاجر تركي هو عثمان بك الذي لا يلبث أن يزداد ثراء حتى يصبح مالكا لإحدى الشركات القابضة الضخمة . إلا أنه يلقى مصرعه إثر حادث مروري مروّع لتئول ثروته وأملاكه برمتها إلى أرملته نيلوفر.

أما كمال فتزداد درجة الفتور في علاقته الزوجية بعائشة خاصة بعد مقتل ابنته ياسمين بقذيفة مدفع هاون أطلقتها القوات اليونانية في أحداث عام ١٩٦٤ ، إذ يحمّل زوجته كامل المسئولية عن مقتل ابنته ويعد ذلك إهمالا جسيما من جانب زوجته في رعاية ابنته.

وخلال يوم واحد تحدث لكمال ثلاثة أحداث فارقة ومصيرية لها بالغ الأثر في تغيير مجرى حياته . أول هذه الأحداث هو فصله من عمله رغم إخلاصه ونزاهته وتفانيه ، لا لسبب إلا لكونه لا ينتمي للحزب الحاكم ، ويرفض الانضمام إليه والترويج له في الانتخابات.

أما ثاني هذه الأحداث فهو عدم تحمل عائشة المزيد من ضغوطات كمال عليها ، ومغادرتها منزل الزوجية وذهابها إلى بيت أبيها مصطحبة ابنهما الوحيد (دوغوش) قرة عين أبيه . مما يكون له بالغ الأثر في

تفاقم الأزمة النفسية التي تضطرم نيرانها في صدر كمال.

وهكذا يضيق الخناق على كمال بعد أن خسر وظيفته وزوجته وابنه في يوم واحد . فيمضي إلى غازي ماغوسه (Gazimağusa) (١٠) حيث تقيم والدته باعتبارها ملاذه الوحيد ، ويلتقي في ذات الليلة بمراد أحد أصدقائه المقربين وزميل دراسته الجامعية في تركيا ، ويبث إليه همومه في أحد فنادق قبرص سلامس باي Salamis Bay)) . وقبل أن تنقضي ساعات الليلة ذاتها يقع – مصادفةً – أيضا ثالث تلك الحوادث الفارقة في حياته ؛ إذ يلتقي مصادفةً نيلوفر حبه الأول والتي كانت قد نزلت بالفندق قادمة من تركيا بحثا عنه . وتكون آنذاك أرملة في الأربعين من عمرها بدون أطفال ، وعلى رأس شركة ضخمة ورثتها عن زوجها المتوفى في حادث مروري . ويبث كل منهما للآخر آلام الفراق ، وفي النهاية تعلم نيلوفر بالشقاق الحادث بين كمال وزوجته عائشة ، وأنه لا يزال يحبها كالسابق ، فتعرض عليه الزواج والهجرة من قبرص والاستقرار في تركيا لإدارة شركاتها وممتلكاتها . ويشرع كمال في اتخاذ إجراءات رفع دعوى الطلاق ، وتوافق عائشة إلا أنها تشترط احتفاظها بحضانة ابنها فيعترض كمال لشدة تعلقه بابنه .

ثم يحدث أن يلتقي كمال «برهان» الصديق الأقرب إلي قلبه وعقله وفكره ، ويلومه على تفكيره في الهجرة من قبرص وتخليه عن مسئوليته كمثقف ومناضل سابق تجاه شعبه في ظل تلك الظروف التاريخية الحرجة والعصيبة ، ويؤكد له أن هجرته هذه إن هي إلا نوعًا من الهروب الذي لا يتفق مع تاريخه النضالي والوطني .

(١٠) - غازي ماغوسه أو فاماغوسه (Famagouste) :
مدينة قبرصية تقع في الشاطئ الشرقي لقبرص على بعد ٣١ كم جنوب شرقي نيقوسيه.(سامي ، ١٣١٦ ، ، ص ٢/٤١١٠)

وعلى خلفية هذا اللقاء يضطرم الصراع النفسي داخل كمال ، ويدخل في حساب مع الذات ، ينتهي به إلى تغليب صوت الواجب الوطني على صوت العاطفة والمصلحة الشخصية ، فيرفض عرض نيلوفر المغري ، ويقرر البقاء في قبرص ، والعودة إلى زوجته وابنه، ويقرر الاشتغال بالمحاماة وخوض المعترك السياسي معارضًا للحزب الحاكم وسياساته الفاسدة التي أفقرت الشعب ونشرت البطالة مما دفع كثيرا من شباب القبارصة الأتراك إلى الهجرة إلى إنجلترا واستراليا وتركيا .

ج – أدب المقاومة (تعريفه ، وملامحه ، وأهدافه) :

تنتمي هذه الرواية إلى ما يُعرف اصطلاحا بـ « أدب المقاومة « أو « الأدب المقاوم « . وهو الأدب الذي يعرّفه أحد النقاد والمنظرين بأنه « الأدب المعبّر عن الذات (الواعية بهويتها) و(المتطلعة إلى حريتها) .. في مواجهة (الآخر العدواني).. محافظًة على كل ما تحفظه الجماعة من قيم عليا .. ساعية إلى الخلاص الجماعي «(نجم ، ٢٠١٤، ص٤)

وهذا يعني أن أدب المقاومة إنما هو محصلة امتزاج وتفاعل مشاعر المعاناة بمشاعر التمرد والتوق إلى الحرية التي تصطرع في وجدان الأديب أو الذات المبدعة والكاتبة التي تخرج من دائرة الذاتية الضيقة إلى آفاق الإحساس بالهم الجمعي للمجتمع وعدوان الآخر والاحتجاج على الظلم والاستبداد ، وما قد يُولد من رحم ذلك من مفاهيم مثل التحرر والصمود والالتصاق بالأرض ...إلخ

ومن الخطأ الظن بأن أدب المقاومة تُختزل مهمته في تصوير المعارك الحربية والتأريخ لحركات التحرر والنضال الوطني ، فهو يتعدى ذلك إلى تعبيد الطريق أمام تلك الحركات بسعيه قُدمًا إلى»تهيئة الرأي العام لفكرة المقاومة» (نجم ،٢٠٠٥ص،٢٢)

سمات أدب المقاومة وأهدافه :

قبل الولوج إلى استقصاء أهم السمات التي يتسم بها أدب المقاومة وتحديد أهدافه ، لا بد من الإشارة إلى أمرين على قدر كبير من الأهمية : الأول هو أن « الأدب في حد ذاته نشاط إنساني يقاوم عوامل الضعف والخور التي قد تلم بالنفس البشرية في لحظات الانكسار.. فليس هناك عمل أدبي جاد في تاريخ الإنسان القديم والحديث يمكنه أن يخلو من هذه السمة البارزة وهي المقاومة لأن هذا العمل يفقد عنصرا خطيرا من مكونات وجوده إذا خلا – من أحد وجوهه – من فكرة الصراع بين الإنسان والكون .. سواء تمثل هذا الكون في الوجود الطبيعي أو النسيج البشري « (شكرى،١٩٧٩،ص٧)

أما الأمر الثاني فهو « أن لأدب المقاومة عموما وجهه الإنساني العام ، الذي لا يندرج في تصويره للصراع البشري تحت أية أطر قومية أو قوالب اجتماعية»(شكري،١٩٧٩،ص٧)

أما سمات أدب المقاومة فهي عديدة أبرزها : هو الحضور الطاغي لمعاني الصمود والمواجهة والكشف عن صلابة الحلم المرتبط بالهوية والأرض باعتبارهما أساس فكرة المقاومة المتكاملة وقت الإحساس بشرعية المقاومة (جمعة،٢٠٠٩، ص ١٢١)

وكذلك من السمات المميزة للأدب المقاوم « ترسيخ الوعي بالذات الأصيلة والهوية .. ترسيخ الوعي بالآخر العدواني وكشف أخطائه وأخطاره من أجل المزيد من الوعي بالذات والمواجهة..والدعوة لتقوية الذات في مواجهة الآخر، وليس للعدوان « (نجم ، ٢٠٠٦،ص ١٣٥).

ويسعى أدب المقاومة إلى تحقيق أهدافه من خلال « التركيز على الظروف البغيضة التي يعيشها الإنسان ، وتحديد الآخر العدواني مع المزيد من كشف خططه ووسائله حتى يمكن مواجهته والانتصار عليه « (نجم ، ٢٠١٤، ص ٨٩)

وترجع أهمية أدب المقاومة إلى « إذكاء روح المقاومة والوعي لدى الناس لا لمواجهة عدوان الآخر فحسب ، وإنما تتعداه لانتقاد ومكافحة النظم السياسية والاجتماعية الفاسدة « (شلبي، ٢٠١٠، ص ١١)

مما يعني أن كشف الفساد في مختلف صوره السياسية والاجتماعية وتعريته ، وإيقاظ همم أفراد المجتمع لمكافحته والتصدي له حتى يمكن إصلاح الذات وتعزيزها في مواجهة عدوان الآخر، إن هو إلا شكل من أشكال المقاومة لا يقل أهمية عن مقاومة العدوان الخارجي الصريح والمباشر .

المبحث الثاني

أبرز تمثلات المقاومة والصمود في الرواية

لقد تجلت معظم تمثلات المقاومة والصمود في رواية «هل نضج اليوسفي ؟ « لإسماعيل بوزقورت ، والتي حفلت بالكثير من تلك التمثلات النضالية ، منها على سبيل المثال :

(١)- ترسيخ الوعي بالهوية الوطنية التركية :

الهوية الوطنية – على نحو ما يعرّفها المعجم التركي الصادر عن مجمع اللغة التركية – هي « مجمل العناصر والسمات الخاصة التي تميز أمة عن غيرها من الأمم والتي تتشكل من أنماط معيشتها ولغتها وعاداتها وتقاليدها وقيمها وموروثاتها الاجتماعية « (Parlatır , Gözaydın ve diğerleri,2005,s.1397/1)

أما أنتوني ديفيد سميث (Anthony David Smith) (١٩٣٩ – ٢٠١٦) – عالم الاجتماع التاريخي الانجليزي – فينظر للهوية القومية باعتبارها حالة من الوعي الجمعي تشترك فيها جماعة من البشر، فتشعرهم بالتميز والاختلاف، وتقوم على عدد من الركائز والسمات المشتركة منها : وعي تاريخي مشترك بأرض أو وطن ، وذاكرة تاريخية جمعية مشتركة ، وموروث ثقافي شعبي واحد ، ونظام حقوق وواجبات ملزم لكل الأفراد ، واقتصاد مشترك...إلخ .(Yıldız ,2007, s.13)

لكل شعب إذن هويته الوطنية الخاصة التي تميّزه عن غيره من الشعوب ، وقد تشكلت هذه الهوية متأثرة بالبيئة الزمانية والمكانية التي عاش بها ، وما مر به من تجارب وأحداث جسام طبعته بسمات ثقافية خاصة ، ميّزته عمن سواه من شعوب العالم ، وكوّنت له أنماطًا معيشية وتقاليد وموروثات شعبية .

ولقد فطنت شعوب العالم المتحضر في العقود الأخيرة إلى أهمية الهوية الوطنية، وما تمثله من قيمة مما جعل مثقفي كل الشعوب وأدباءها يحرصون على ترسيخ الهوية في نفوس مواطنيهم باعتبارها وسيلة مقاومة وإستراتيجية دفاعية عن الذات الجمعية ، ترسّخ لوجودها وتكرّس لبقائها ، فضياع الهوية الوطنية لشعب إنما هو ضياع لوجوده وضربًا لاستقراره .

ويستند (بوزقورت) إلى أرضية صلبة تمثل ركيزة مهمة لفكره المقاوم الذي يروج له في روايته ، وتتأسس هذه الأرضية على ترسيخ وعي مواطنيه بالهوية الوطنية التركية بمكوناتها ومفرداتها المختلفة من أحداث تاريخية وأنماط معيشية وموروثات شعبية باعتبار ذلك مطلبًا ملحًا للدفاع عن هذه الهوية في ظل ما تواجهه من تحديات داخلية وخارجية تحاول النيل منها وتسعى إلى طمسها .

ولعل أهم ما سعى الكاتب إلى تعميقه وترسيخه بقوة في وعي مواطنيه من المحددات الرئيسية لهويتهم هو ميراثهم التاريخي والتأكيد على أصالة هويتهم وصدق انتمائهم للأمة التركية باعتبار ذلك عاملا أساسيًا وفاعلا لترسيخ فكرة المقاومة لديهم ؛ إذ حرص على إظهار وتأكيد الهوية التركية لأبطال الرواية وكيف أنهم ينحدرون من أصول تركية خالصة متمسكة بالتقاليد التركية العثمانية ، فالأب في الرواية بتكوينه النفسي والاجتماعي والجسدي ـــــ على نحو ما يصوره الكاتب ـــــ يستوعب كل السمات البارزة لشخصية الأب التركي العثماني الصارم والمهاب والقابض على زمام الأمور في بيته بكل حسم ، فكلمته نافذة ، وأمره مستجاب ، « لقد كان عثمانيا بكل ما تحمله الكلمة من معنى ، يتمتع بشخصية تحظي بحب المحيطين واحترامهم، وتتسم بالاستقامة والشهامة والشجاعة والمروءة» (Bozkurt,2007,s.8) [١١] كما أنه « لم يكن يتحدث كثيرا مع أطفاله ، وحينما كان يريد أن يقول شيئا لكمال أو إخوته كان ينقله لأمهم ، لتنقله بدورها إليهم « (Bozkurt,2007,s.8) [١٢].

وقد بلغت شخصية والد كمال هذه من الصرامة والحزم التي تتصف بها شخصية الأب التركية في المجمل حدا جعله « نادرا ما تعرف الابتسامة طريقها إلى وجهه في البيت ، ولم يكن يتلطف مع وجته أو يحادثها خاصة أمام أطفاله أو غيرهم « (Bozkurt,2007,s.8) [١٣**].

هذا عن شخصية الأب التركي القبرصي ، أما عن شخصية الأم

(11)- " ....tam bir osmanlı idi . Çevresinde çok sevilip , sayılan . doğru , mert yürekli, yiğit bir kişiliği var "

(12)- " Çocukları ile de pek konuşmazdı . Kemal'e ya da kardeşlerine bir şey söylemek istediği zaman annelerine söyler , o da onlara aktarırdı "

(13) ** - " Evde yüzü çok az gülerdi . Karısına yüz göstermez . Özellikle çocukları ya da başkaları önünde konuşmazdı bile ! "

(فائـزة) فهـي علـى نفـس القـدر مـن القـوة التـي تتسـم بهـا شـخصية الأب ، حيـث تتخطـى شـخصية الأم السـاذجة القابعـة فـي كنـف مـن يحميهـا زوجـا أو ابنـا ، لتكشـف عـن مـدى صلابتهـا وتماسـكها وأصالـة معدنهـا حينمـا تعرضـت أسـرتها وطائفتهـا لمحنـة الحـرب وأزمـة التهجيـر القسـري مـن جنـوب الجزيـرة إلـى شـمالها وهـي بذلـك تمثـل وتـد الأسـرة التركيـة وسـر تماسـكها ورمـزا لاسـتمرارها بـل لاسـتمرار الأمـة التركيـة القبرصيـة بأسـرها لترتقـي إلـى أن تكـون رمـزا للعناصـر الأصيلـة المسـتمرة فـي الشـخصية التركية،والتـي لا يطمسـها بطـش عـدو ولا ظلـم حكومـة ، وإنمـا يبـرز منهـا رغـم الأزمـة كل مـا يولّـد المقاومـة ، لذلـك تصبـح أسـرتها الصامـدة أيقونـة للصمـود الكلـي للوطـن .

وفائـزة أيضـا علـى نحـو مـا يصفهـا الكاتـب – علـى المسـتوى الفيزيائـي – تجتمـع فيهـا ملامـح المـرأة التركيـة الأصيلـة حيـث « كانـت فـي الثالثـة والسـتين مـن عمرهـا . قصيـرة القامـة ونحيفـة . وكانـت فـي شـبابها امـرأة بارعـة الحُسـن ، تُعـرف فـي قريتهـا ببنـت الشـركس . وكان أتـراك القريـة ويونانيوهـا يعرفونهـا بهـذا الاسـم . وكانـت تتمتـع بجمـال أخّـاذ بعينيهـا الزرقاوين وشـعرها الكسـتنائي وبشـرتها البيضـاء وأنفهـا المنمـق ولهـذا كانـوا ينعتونهـا ببنـت الشـركس « . (Bozkurt,2007,s.16) [١٤]

أمـا كمـال وهـو الشـخصية الرئيسـة فـي الروايـة فقـد شـدد الكاتـب على هويتـه التركيـة القبرصيـة ودور الوطـن فـي تشـكيل ملامحهـا بـدءا مـن مرحلـة انخراطـه فـي صفـوف منظمـة المقاومـة التركيـة مـرورا بمرحلـة تهجيـره هـو وعائلتـه مـن مسـقط رأسـه فـي الجنـوب . وصـولا إلـى إغـراءات نيلوفـر الأرملـة الغنيـة لـه للرحيـل إلـى تركيـا ليتولـى إدارة شـركاتها وتـرك قبـرص .

(14) -“ Altmış üç yaşında idi . Gençken çok güzel bir kadındı . Gençkızlığında Çerkez kızı diye bilinirdi köyünde . Köyün Türk ve Rumları onu bu isimle tanırlardı. Koyu mavi gözleri , kızılımsı saçları , ak teni , düzgün burunu ile çarpıcı bir güzelliği vardı . Kendisini Çerkez kızı olarak nitelendirmeleri bundandı «

إلا أن كمال يعيد حساباته في آخر لحظه ويحسم قراره بالانحياز الكامل إلى هويته الوطنية القبرصية ويتمسك بالبقاء في قبرص . و ذلك على خلفية الحوار الأهم في الرواية والذي دار بين كمال وبرهان صديقه ورفيقه في الكفاح والنضال الوطني الذي لامه فيه على تفكيره في التخلي عن هويته الوطنية ورسالته كمناضل مثقف والهرب من الوطن تلبية لرغبة نيلوفر وطموحا إلى الثراء خاصة بعد فصله من منصبه في الوزارة . وقد دار ذلك الحوار على النحو التالي :

– وماذا بعد يا كمال ؟

– لا شيء البتة .. كل ما في الأمر أنني سوف اترك عائشة وأتزوج نيلوفر.

– يعني أنك سوف تغادر قبرص ! ... يعني أننا سوف نفقدك أنت أيضا ياكمال مثل كثيرين فقدناهم من قبل ، منهم من نزح إلى تركيا ، ومنهم من هاجر إلى إنجلترا ، ومنهم من رحل إلى استراليا أو إلى أماكن أخرى ....

– لكن ماذا كنت اعتقد فيك ؟ لست أنا فحسب إنما كثيرون ! إن نسل أمثالك ومن هم على شاكلتك انقرض في هذا البلد .... إن لك إسهامات كثيرة في معركة وجودنا . وقد أثبتَ هذا في الماضي . أما الآن فسوف تترك النضال وترحل في الوقت الذي لم ينته الصراع بعد . إنه لا يزال مستمرا في الداخل والخارج . مستمر بوصفه صراعا من أجل الديمقراطية .. صراعا من أجل إقناع القبارصة اليونانيين والعالم بأسره بأننا كيان له هوية خاصة به . كنا ننتظر منك الكثير في هذا الصراع . معنى هذا أننا سوف نفقد أملنا فيك . (Bozkurt,2007,s.157) (*١٥)

(15) * - Ne oldu sonra Kemal ?
- Hiç ! Ayşe'den ayrılıp Nilüfer'le evleneceğim.
- Yani Kıbrıs'tan ayrılacak mısın ? … Demek seni de yitiriyoruz Kemal ! Daha niceleri

وعلى خلفية هذا الحوار يدخل كمال في صراع نفسي بين عاطفته نحو نيلوفر ومصلحته الشخصية وبين واجبه تجاه وطنه وهويته ، وينحاز في نهاية الأمر إلى واجبه نحو وطنه ويرفض عرض نيلوفر المغري قائلا :

« إنني كذلك لدي مسئوليات تجاه بلدي .... إن هذا البلد الصغير يواجه مشكلات جسامًا . لقد بات الفساد به عملة رائجة . يوشك أن يضيع حق الشرفاء في العيش فيه . وفي وضع كهذا أؤمن أن هناك واجبًا يقع على عاتقي في هذا البلد . وأدرك كذلك أنه لا يمكنني التهرب من هذا الواجب ومن هذا الصراع الذي يتعين عليّ أن أخوضه من أجل أداء هذا الواجب « (Bozkurt,2007,s.180) [١٦]

وهكذا يؤكد الكاتب على صمود بطل روايته أمام كافة الإغراءات المادية وتمسكه بهويته وإخلاصه لوطنه قبرص وارتباطه به ارتباطا وثيقا يكشف عن بعد مميز في هوية التركي القبرصي حيث لا مجال للضعف والانكسار أمام اعتداءات العدو ، أو إغراءات الحبيب .

gibi . Kimi Türkiye'ye , Kimi ingiltere'ye , kimi Avustralya'ya, ya da başka yerlere . Oysa senin için neler düşünüyordum . Yalnız ben değil , çok kişi !.. Senin gibilerin nesli tükendi bu ülkede … Varolma kavgamızda çok katkın olur . Geçmişte bunu kanıtladın . Şimdi kavgayı bırakıp gideceksin . Oysa ki kavga bitmedi . İçte ve dışta sürüyor. Demokrasi kavgası olarak … Rum›a ve dünyaya kendine özgü kimliği olan bir varlık olduğumuzu tanıtma ve Kabul ettirme kavgası olarak sürüyor . Bu kavgada senden çok şey bekliyorduk . Demek ki senden ümidimizi keseceğiz… ".

(16) - " Bir de ülkeme karşı olan sorumluluklarım var… Bu küçük ülke, çok büyük sorunlarla karşı karşı !Namussuzluk geçer akçe olmuş. Nerede ise namuslara yaşam hakkı kalmayacak. Bu durumda bana da bu ülkede görev düştüğüne inanıyorum . Bu görevden, görevi yerine getirmek için verilecek kavgadan kaçamayacağım da anladım "

ولعل الكاتب يرمز من وراء رفض كمال في النهاية لعرض نيلوفر المغري والانضواء تحت جناحها والانقياد لأمرها ، وإيثاره استقلاليته وتمسكه بالبقاء في قبرص، إلى رفضه كسياسي مثقف لانضواء قبرص بشكل تام تحت علم تركيا والذوبان التام فيها ، رغبة منه في احتفاظ قبرص بكامل هويتها الخاصة واستقلال إرادتها .

(٢) ترسيخ الوعي بالموروث الثقافي والشعبي :

يُعد الموروث الثقافي والشعبي أحد أهم ركائز الهوية القومية ومحدداتها . ولتحديد المفهوم الاصطلاحي للموروث الثقافي يتعين تفكيكه أولا إلى مصطلحين : الأول هو (الموروث) والثاني هو (الثقافة) .

أما الموروث فهو اصطلاح متعدد المفاهيم يعني – حسبما ورد في المعجم الصادر عن مجمع اللغة التركية – « ما يورّثه الميت لورثته من أموال وأملاك وثروات « . ويعني كذلك « ما ينتقل من سمات ونحوها عن طريق الوراثة «. ويعني كذلك « الشيء الذي خلّفه جيل لجيل آخر جاء من بعده» (Parlatır ,Gözaydın ve diğerleri,2005, 1400/2)

أما الثقافة ((Kültür فقد تعددت تعريفاتها ، ومنها على سبيل المثال أنها « مجموع القيم المادية والمعنوية التي تشكلت عبر مسيرة التطور التاريخي والاجتماعي لمجتمع من المجتمعات ، ومجمل الوسائل والآليات المستخدمة في تشكيل تلك القيم وتوريثها من جيل لجيل بعده والتي تكشف عن مدى سيطرة الإنسان على وسطه المعيش الطبيعي والاجتماعي»,2005, Parlatır Gözaydın ve diğerleri) (s.1282/1

أما حلمي ضيا اولكان (Hilmi Ziya Ülken) فيعرّفها في معجمه للمصطلحات الاجتماعية (Sosyoloji Sözlüğü) بأنها « منظومة القيم والأفكار

والمعتقدات والمكتسبات التقنية والممارسات التي تشكل شخصية مجتمع معيّن من المجتمعات وتميّزه عن غيره من المجتمعات « (s.185,1969) .

وتأسيسا على ما سبق يمكن تعريف الموروث الثقافي لمجتمع من المجتمعات بأنه منظومة القيم والمعتقدات والممارسات الاجتماعية التي يشترك فيها أفراد المجتمع والمستمدة من تجاربهم المختزنة جيلا بعد جيل ، والتي تشكل شخصية ذلك المجتمع وتميّزه عن سائر المجتمعات الأخرى ، بدءًا من تاريخ ظهوره على مسرح التاريخ ، مرورا بما تتابع عليه من عصور ، وصولا إلى العصر المعيش.

ولقد فطنت الأجيال المتعاقبة للمجتمعات إلى أهمية الموروث الثقافي فحافظت عليه وحرصت على توارثه جيلا بعد جيل ، إدراكا منها أن هذا الموروث الثقافي إذا ما أحسنوا هضمه واستيعابه ، وتمسّكوا به بإمكانه تذكير المجتمع بهويته المشتركة وتقوية عرى التضامن والوحدة بين أفراده .

وعليه وتأسيسا على كل ما تقدم ، يمكن القول بأن لكل مجتمع موروثاته الثقافية التي تميّزه عن سائر المجتمعات وتميز أفراده وتصوغ سلوكياتهم وممارساتهم ، وأن ترسيخ وعي أفراد المجتمع بموروثهم الثقافي إنما هو درع يحفظ للأمة هويتها وذاكرتها ، ويعزز وجودها واستمرارها .

وينقسم الموروث الثقافي إلى شقين أساسيين مترابطين : **الأول مادي** يتمثل في « أسلوب المعيشة.. وأنماط العمل والزي والمأكل والمشرب ... إلخ « (مرسي،١٩٩٩،ص٣٣)

أما **الثاني فمعنوي** أو **روحي** ويتمثل في « منظومة العادات والتقاليد والأعراف التي يحتفي بها المجتمع ، ويتوارثها أفراده ... كما يتضمن المأثورات القولية التي تعبر عن وجهة نظر المجتمع حيال عدد من الأمور الحياتية فيه « .(مرسي ، ١٩٩٩،ص ٣٤)

ولم يأل (بوزقورت) جهدًا في روايته هذه على ترسيخ الموروث الثقافي التركي القبرصي في وجدان مواطنيه بغية الحفاظ على الهوية والأصالة القبرصية وذلك من خلال اهتمامه بتصوير قبرص شمالها وجنوبها وحياة الطائفة التركية فيها بتقاليدها وأعرافها الشعبية باعتبارها جزءًا من الموروث الثقافي ، إذ رصد عددًا من مفردات الموروث الثقافي المادية ومنها ما يلي :

أ ــ الأكلات الشعبية :

تحظى الأكلات والممارسات الغذائية للمجتمعات باهتمام بالغ من منطلق صلتها الوثيقة بالهوية الثقافية ، فمثلما يتحكم المأكل في تشكيل ملامح البنية الجسدية والنفسية للإنسان فإنه يُعد « عنصرا من عناصر الموروث الثقافي ، له أبعاده الفردية والاجتماعية بل إنه أشد تلك العناصر تأثيرا وفاعلية . فالإنسان بحكم بنيته الجسدية واحتياجاته البيولوجية له مفهوم للمأكل يتشكل تحت تأثير الثقافة الاجتماعية التي يعيشها . كذلك تخضع ثقافته الغذائية لما يحيط به من ظروف جغرافية . حتى إن ما يطرأ على حياة المجتمعات من تغيرات جغرافية من شأنها التأثير على ثقافتهم الغذائية ؛ ومن ثم تتباين ثقافة المأكل بتباين المنطقة الجغرافية ، فتبدو أكلات الحضر وثقافتهم الغذائية مختلفة عن أكلات البدو وثقافتهم الغذائية « (Beşirli,2010,s.161-162)

ومن الملاحظ أن معظم مطابخ دول العالم ذاع صيتها بمأكولات اشتهرت بها تاريخيا وميّزتها قوميا عن مثيلاتها من المطابخ ، فالمطبخ الأمريكي مثلا يُعرف بالوجبات السريعة (Fast Food) مثل (الهوت دوج) و(البرجر) والدجاج المقلي (كنتاكي) ، أما المطبخ السعودي أو الخليجي فيشتهر بالكبسة ، في حين أن أكلات (الكشري) و(الفول والطعمية) ترتبط تلقائيا في الأذهان بالمطبخ المصري ...إلخ .

ولعل تناول المرء لصنف من مأكولات بلاده الشعبية يحمل بعدًا وجدانيًا من شأنه أن يمنحه شعورا بالاستغراق اللاواعي في هويته القومية . ويُلاحظ أن (بوزقورت) حريص في مواضع عديدة في روايته على ترسيخ وعي قرائه بمجموعة من الأكلات الشعبية التي يتميز بها مطبخ الطائفة التركية القبرصية ، وكذلك المناسبات التي ترتبط بها بعض هذه الأكلات باعتبارها جزءا مهما من موروثهم الثقافي ، ففائزة والدة بطل الرواية تظهر في كثير من مشاهد الرواية وهي تعد أصنافًا من المطبخ التركي القبرصي اعتادت على تناولها هي وأسرتها ، « كانت فائزة تجهز عادة الأكلات التي يحبها أبناؤها ، ولدى مجيئهم إليها كانت تطهو لهم هذه الأطعمة التي يحبونها ، وكان أبناؤها كافة يحبون الشعرية المصنوعة يدويا والمضاف إليها كثير من (الجبن الحلوم) (١٧*) المبشور... وكان أبناؤها يحبون أيضا المكرونة اليدوية كذلك ، إلا أن صناعتها كانت أكثر صعوبة . ومن حين لآخر كانت تصنعها لهم خصوصا في يوم رأس السنة . وفي ذلك اليوم أيضا كانت تصنع فطائر البلاونة (Pilavuna) (١٨*) والعاشوراء أيضا » (Bozkurt,2007,s.28) (١٩**) كما كان طبق البيض بـ(الجبن الحلوم) المقلي طبقا رئيسيا طاغي الحضور في المطبخ التركي القبرصي بحيث لا تخلو منه مائدة طعام حتى ولو كان صاحبها يعاني مرضا يمنعه من تناوله ، على نحو ما تظهره الرواية في الحوار التالي الذي

(١٧) * - الجبن الحلوم (Hellim):
هو نوع من الجبن المحلي يتمتع بشعبية كبيرة في قبرص . يُصنع غالبا من حليب الأغنام ، ويمتاز بلونه الأبيض وملمسه الناعم وإمكانية شيه على النار أو قليه في الزيت دون أن يذوب. (Bozkurt,2007,S.189)
(18) * - فطائر البلاونه (Pilavuna) :
نوع من الفطائر يصنع من خليط الدقيق والجبن والبيض والخميرة . (Bozkurt ,2007,S.190)
(19) ** - " Faize , çocuklaının sevdiği yiyeceklerini genellikle hazır bulundurur , geldiklerinde onlara bu sevdikleri yiyeceklerden pişirirdi. Rendelenmiş , bol hellimli , el şehirgesini bütün çocukları severdi …. Bir de el makarnasını çok severdi çocuklar. Ama onu yapmak daha zordu . Bu bakımdan sık sık yapamazdı . Arada bir ve de özellikle yılbaşında yapardı. Yılbaşında ayrıca pilavuna ile golifa da yapardı "

دار بين كمال وأمه حينما دخل عليها المطبخ فوجدها تقلي الجبن الحلوم في المقلاة :

« –ماذا تفعلين يا أماه ؟

_تاقت نفسي إلى البيض بالجبن الحلوم وكنت أعدّه .

–بيض بالجبن الحلوم ومقلي أيضا !! .... أليست هذه الأشياء ممنوعة عليك ؟ ألا تعلمين أن الأطعمة المقلية تضر بضغطك ؟! ....

وماذا أفعل اشتاقت نفسي .. لم آكلها منذ فترة . صدقني أنا أطهوها لأول مرة منذ شهور . انظر إنه جبن حلوم قروي شهي للغاية اشتريته من أهل قريتنا . وهو زكي الرائحة . هل أصنع لك ؟ » (Boz-kurt,2007,s.148). (٢٠***)

كذلك من بين الأطباق التقليدية الأخرى طاغية الحضور في مشاهد الرواية طبق **الملوخية** (على الطريقة القبرصية لا المصرية) (٢١*)فهو من الأطباق العريقة المتوارثة عن الأجداد والمحببة إلى نفوس الأتراك

(20) *** - "- Ne yapıyorsun sen annem ?
- hellimli yumurta çekti canım onu yapıyordum .
- Hellimli yumurta ha ! … Hem de kızartma . Anne yasak değil mi bunlar sana ?! Tansiyonuna zarar verdiğini bilmiyor musun kızartmaların ?.....
- Ne yapayim , canım çekti be oğlum . Kaç zamandır yemiyordum . Aylardır ilk defa yapıyorum inan . Bak çok güzel köy hellimlidir. Mis gibi kokuyor. Sana da yapayım mı ? "

(٢١) * - ثمة اختلاف كبير بين طريقة طهي الملوخية في المطبخ التركي القبرصي عن مثيلتها في المطبخ المصري أو العربي بوجه عام . ففي حين تُخرط أوراقها وتُسوى في المطبخ المصري ، وتُقدم كنوع من أنواع الحساء يؤكل غالبا بالخبز . فإن أوراقها تُطهى كاملة في المطبخ التركي القبرصي ويضاف إليها مقدار من قطع اللحم أو الدجاج والإضافات التقليدية مثل الثوم والتوابل ....إلخ وتُقدم كطبق خضروات متماسك القوام وليس حساء (İslamoğlu ,2013 , s. 102-103) .

القبارصة . وكثيرا ما « كانت فائزة تطهو الملوخية التي يحبها ابنها « (Bozkurt,2007,s.28) (**٢٢)

وفي موضع آخر تسأل الأم كمال عما إذا كان قد تناول الطعام أم لا ، فيرد عليها بأنه ليس جائعا . إلا أنه « تذكر أن أمه كانت قد أعدت الملوخية والشعرية المصنوعة يدويا خصيصا له، فخجل من نفسه وأراد أن يطيّب خاطرها فقال :

-غدا يا أماه آكل الملوخية والشعرية « (Bozkurt,2007,s.64) (***٢٣)

ب ــ القهوة التركية :

لعل القهوة التركية هي أكثر المفردات التراثية تغلغلا في مألوفات الحياة اليومية للشعب التركي القبرصي ، إذ تتجاوز القهوة لديه كونها مجرد مشروب ساخن يساعد على التنبيه والتركيز الذهني لتصبح وسيطا رمزيا بالغ الأهمية في تعزيز قيم الكرم وواجبات الضيافة ، فضلا على اضطلاعها بدور فعّال في تعزيز التواصل بين أفراد الأسرة والمجتمع.

وعليه فقد حظيت القهوة التركية باهتمام بالغ من (إسماعيل بوزقورت) في بلورة منظومة الموروث الثقافي التركي القبرصي باعتبارها الرمز الأبرز لتلك المنظومة، فهي المشروب المفضل لكل شخوص الرواية وعلى رأسهم بطلها كمال الذي كان يجد متعته في الحصول على فنجان منها فور فراغه من طعامه ، « فشرب القهوة كان في الحقيقة أكبر متعة لديه بمجرد أن يفرغ من تناول طعامه وقبل أن تُلملم الطاولة « (Boz-kurt,2007,s.14) (*٢٤)

(22) ** - “ Oğlunun çok sevdiği molihiya pişiriyordu “
(23) *** - “ Kemal , annesinin kendisi özel olarak molihiya ve el işi şehirge yaptığını anımsayarak utandı . Annesinin gönlünü almak istedi : Molihiya ile şehirgeyi yarın yerim anne”
(24) * - “ Gerçekten de yemeğini yer yemez masa toplanmadan kahvesini içmek en

كما تتحول القهوة إلى أداة فعّالة ، بل وحيدة للتواصل بين كمال وزوجته عائشة تُضيّق أحيانا الهوة العاطفية السحيقة الكائنة بينهما ، حيث كانت عائشة تدرك مدى حب كمال لتناول القهوة وأنها أصبحت روتينا لا يمكن الاستغناء عنه أبدا خاصة عقب فراغه من الطعام ، فتهب دون تفكير ودون أن تكمل هي طعامها وتعدها لزوجها دون تذمر بل عن طيب خاطر مستمتعة ، « فالقهوة كانت بمثابة أداة التواصل الوحيدة بينهما « (Bozkurt, 1991, S.14) (**٢٥)

ويستمر الكاتب في التأكيد على المنزلة التي تحتلها القهوة في الموروث الثقافي التركي القبرصي والتي لم ينلها أي مشروب آخر بما في ذلك الشاي . فعلى الرغم من أن الشاي يتبوأ المنزلة الأهم والأرفع في الموروث الثقافي لشعب تركيا ، فإنه لا يحظى بذات المنزلة والأهمية لدى أتراك قبرص ، إذ تتفوق عليه القهوة وتبلغ حد (الإدمان) بمحبيها . وتتقرر هذه الحقيقة من خلال حديث الكاتب عن فائزة وجارتها رقية الأناضولية التي كانت تتردد عليها دوما وتشاركها شرب القهوة ترددا ومحبة « فرقية لم تكن تحب القهوة إلى أن جاءت إلى قبرص ، وكانت تشرب الشاي أكثر. أما فائزة فكانت (تدمن) القهوة وتشربها منذ نعومة أظفارها . والآن تشرب ثلاثة أو أربعة فناجين قهوة يوميا . وإن لم تجد من ينادمها في شربها،كانت تنهض من وقت لآخر وتعدها لنفسها وتجلس لتشربها» (Bozkurt,2007,s.138) (*٢٦)

ولا يمل(بوزقورت) من التأكيد على المنزلة التي تتبوأها القهوة في نفس الإنسان التركي القبرصي ، وأنها خياره الأول والمفضل على أي مشروب

büyük zevki idi “

(25) ** - “ ikisi arasında , tek iletişim aracı gibi bir şeydi Kahve ! “

(26) * - “ Rukiye , Kıbrıs›a gelinceye kadar kahveyi sevmezdi . Daha çok çay içiyordu . Faize ise kahve hastası idi . Küçük yaşından beri kahve içerdi . Şimdi de günde en az üç dört kahve içerdi . Arkadaş bulmazsa arada kalkar , kendi kendine bir kahve yapar , oturur içerdi “

آخر ؛ فحين التقت (نيلوفر) كمال في استراحة أحد الفنادق الكبرى سألته « أنشرب سويا كأسًا من خمر أم كوبا من الشاي؟ فرد كمال قائلا : بل أشرب قهوة وليس خمرا أو شايا ! « (Bozkurt,2007,s.90-91). (٢٧**)

ولعل الكاتب يهدف من وراء إيضاح الفارق بين ثقافة المجتمعين التركي القبرصي ونظيره الأناضولي فيما يتعلق بالمشروب الأكثر شعبية لديهما، إلى تأكيد استقلالية الشخصية التركية القبرصية نسبيا وتميزها بموروثاتها الثقافية .

ج ــ الفنون اليدوية :

تُعد الحرف والفنون اليدوية التراثية من المفردات المادية المهمة للموروث الثقافي للأمم تمثل بعدا اقتصاديا واجتماعيا وثقافيا مهما لكل أمة تسعى جاهدة للمحافظة على هويتها وخصوصيتها الثقافية . ومن هذا المنطلق يرصد (بوزقورت) في روايته بعض الحرف والفنون التراثية التي اشتهر بها الشعب التركي القبرصي والتي تمثل جزءا مهما من ثقافته وثيق الصلة بجذوره وهويته القومية . ومن بين أبرز هذه الحرف أو الفنون اليدوية التطريز على القماش والذي اشتهرت به – عالميا – قرية لافكارا (Lefkara) الواقعة جنوبي قبرص. وكانت فائزة والدة كمال – بطل الرواية – أكثر شخصيات الرواية مهارة في هذا الفن . وكثيرا ما كان يؤكد الكاتب على براعتها في هذا الفن التراثي الذي ورثته عن أجدادها باعتباره جزءا من ثقافة الشعب التركي القبرصي وتراثه يمثل جانبا من جوانب الهوية الوطنية التركية القبرصية فيقول « وهي نفسها كانت تعمل شغل (لافكارا) ، وتتمتع بالمهارة والشهرة في ذلك ، ويتخطف الناس مطرزات (لافكارا) صُنع يديها « (Bozkurt,2007,s.18) (٢٨*)

(27) ** - “ Birlikte bir içki , ya da çay içer miyiz?
içki , çay değil ama kahve içerim . «

(28) * - “ Kendisi de Lefkara işi yapıyordu . Bu konuda usta idi . Ünlü idi . onun elin-

وحتى بعد أن نزحت فائزة إلى الشمال لم تنس هوايتها المفضلة هذه ، وظلت تمارسها في أوقات فراغها على نحو ما أظهره الكاتب في غير موضع من روايته كقوله مثلا « ولما لم يعد هناك ما يقال ، قال كمال : أود أن أتمدد قليلا ، وصعد إلى غرفته ، فأمسكت فائزة بشغل لافكارا « (Bozkurt,2007,s.144). (**٢٩)

وقوله كذلك في موضع آخر « وبعد أن أتمت فائزة أعمالها المنزلية جريا على مألوف عادتها، أمسكت شغل لافكارا المطرز،وراحت تشتغله» (Bozkurt,2007,s.13).(***٣٠)

ولعل رصد الكاتب لهذه الفنون اليدوية من البيئة القبرصية يسهم في إثراء الرواية لأنها تمثل أحد مفردات الموروث الثقافي التي سعى إلى تكريسها وترسيخ الوعي بها .

د ــ العادات والتقاليد والمعتقدات التركية القبرصية :

مثلما حرص (بوزقورت) على تسليط الضوء على الجانب المادي من الموروث الثقافي للقبارصة الأتراك ورصد مفرداته المتمثلة في أنماط المأكل والمشرب والفنون والحرف التراثية ...إلخ ، لم يأل جهدًا في الكشف عن بعض مفردات الشق المعنوي للموروث الثقافي ومنها :

أولا ــ العادات والتقاليد :

١ــ العادات المتعلقة باختيار اسم المولود :

من العادات التركية القبرصية التي حرص الكاتب على إظهارها

den çıkan Lefkara işleri kapış kapış edilirdi “

(29) ** - “Konuşulacak bir şeyleri kalmamıştı . Kemal , ben biraz uzanayım deyip odasına çıktı , Faize Lefkara işine sarıldı “

(30) *** - “Her zamanki gibi ev işlerini bitirdikten sonra Lefkara işini eline aldı , işlemeye başladı”

وترسيخ وعي قرّائه بها تلك العادات ذات الصلة بتسمية المواليد ، حيث جرت العادة لدى معظم القبارصة الأتراك أن يُسمى الطفل الأول باسم الجد من ناحية الأب إذا كان ذكرا ، أما إذا كان أنثى فباسم الجدة من ناحية الأب أيضا. ثم يأتي بعد ذلك اسما الجدين من ناحية الأم في حالة الطفل الثاني . أما الطفل الثالث فكان يُسمى باسم أكبر أعمامه . وقد أشار الكاتب إلى هذه العادة في خلال حديثه على ظروف وملابسات اختيار أسرة كمال لأسماء مواليدها ، حيث يقول « كمال كان اسم حمو فائزة . وقد أطلقوا اسمه على طفلهم الأول جريا على مألوف العادات والتقاليد أو على الأصح سمّاه زوجها ، إذ لم يكن يسقط حقه في القول الفصل في هذا الشأن. أما محمد فكان اسم أبيها ، ولو كانت قد أنجبت بنتا لحملت اسم حماتها . وحينما أنجبت أول أبنائها ذكرا وسُمي باسم حموها ، كان يتعين أن يطلق اسم أبيها هي على ثاني أبنائها من الذكور وفقا للعادات . وقد مارس زوجها هذه العادة .... وحينما أنجبا ابنتهما ، سمّاها زوجها (صدّيقة) الذي كان اسم والدته هو. أما حينما أنجبا ابنهما الأخير ، فقد سماه زوجها دون تفكير طانر ((Taner في حين أنه كان من المنتظر – بحسب العادات – أن يُسمى باسم أكبر أعمامه . وبسبب اسم (طانر) ساد الفتور لفترة طويلة في علاقة زوجها وشقيقه» (Bozkurt,2007,s.17-18) (*٣١)

ولعل الاعتزاز بتسمية الطفل باسم الجد أو الجدة أحد مظاهر قيمة احترام الوالدين وهي من القيم البارزة المميزة لثقافة القبارصة الأتراك .

(31) * - Kemal , Faize' nin kaynatasının adı idi . Geleneklere uygun olarak ilk oğullarına onun adını vermişlerdi . Daha doğrusu kocası vermişti . Kendisine söz hakkı düşmezdi bu konuda.
Mehmet , kendi babasının ayıydı . Kız doğmuş olsa idi kaynatasının adını taşıyacaktı . İlk çocukları erkek doğup kaynatasının adını alınca , ikinci oğullarına geleneklere göre kendi babaının adını vermeleri gerekirdi.kocası bu geleneği uyguladı …. Kızları doğunca kocası ona kendi annesinin adı olan Sıdıka adını verdi .

٢ــ تبخير الأبناء بورق الزيتون :

وهي عادة متوارثة لدى الشعب التركي القبرصي يمارسها لطرد الأرواح الشريرة ، ودرء الحسد، وجلب البركة وتفريغ طاقات التوتر والغضب والعصبية . ففائزة والدة كمال بطل الرواية قد هالها أن يحتد عليها ابنها لأول مرة في حياته وهو المعروف بتوقير الكبير واحترام الصغير ، فظنت أنه ربما قد أصابته عين أو حسد بسبب أنها لم تبخّره منذ أن حل ضيفا عليها ، فقررت أن تبخره بورق الزيتون . وفي صباح اليوم التالي نادت عليه قبل أن يبرح الدار قائلة: « – تعال يا بني لأبخرك ! فليحفظك الله من العين والحسد وليحترق أعداؤك!...

وراح كمال يلوّح بكفيه فوق الدخان المتصاعد من ورق الزيتون مبتسمًا . ثم قالت له فائزة:

_ امض الآن صحبتك السلامة .

وشعرت براحة نفسية « (Bozkurt,2007,s.145) (٣٢**)

ويبدو أن هذه العادة لا تستند إلى أي مرجعية دينية ، وإنما تستند إلى مرجعية تراثية شعبية محضة . كما أن أصولها لا تعلمها حتى الناس التي تؤمن بصدقها وتعتقد فيها ، وهم يمارسونها كإجراء وقائي ضد العين أو الحسد كفيل بأن يمنحهم راحة البال وطمأنينة النفس.

(32) ** -" Gel oğlum ! Tütsüleyeyim seni ! … Allah , nazardan saklasın ! Düşmanların çatır çatır çatlasın !...
Kemal gülümseyerek iki avucunu tüten zeytin yaprağı dumanının üstünde salladı .
- Şimdi güle güle git oğlum !
Faize içinde bir rahatlık duydu "

٣ ــ تقديم كوب ماء مع فنجان القهوة :

ومن العادات المرعية الموصولة بتقديم القهوة أو ارتشافها تقديم كوب ماء مع القهوة المقدمة للضيف على نحو ما فعلت عائشة زوجة كمال حين أعدت القهوة لشقيقها الأكبر يوسف ، إذ صففت الفناجين فوق الصينية ووضعت كوب ماء من أجل شقيقها الأكبر. وكان هذا بالنسبة لها بمثابة لغز لم تستطع فهمه ، حيث « كان الرجال كافة يطلبون كوب ماء إلى جوار قهوتهم . ومن هذا المنطلق كان يجب دائمًا وضع أكواب مملوءة ماء بقدر عدد الرجال، فوق الصينية لدى تقديم القهوة . وكانت عائشة تسأل نفسها دائما : لِمَ هذا يا ترى؟!. إلا أنها لم تكن تظفر بإجابة ، ولم تفكر قط في أن تسأل أحدًا « (Bozkurt,2007,s.107) (*٣٣)

ومما يلاحظ أن (بوزقورت) في رصده لهذه العادة وغيرها من العادات المتوارثة يشدد على أن القبارصة الأتراك إنما يمارسونها بشكل عفوي دون أن يكون لهم علم بها أو تفسير لها على الإطلاق ، ولم يخطر حتى ببال أحدهم أن يسأل عن أصلها ومنشأها ، هم فحسب يمارسونها باعتبارها عادات ضاربة بجذورها في أعماق التاريخ ، ورثها الخلف عن السلف ، حتى ترسّخت على مر الزمن في وجدانهم وتحكمت في سلوكياتهم .

أما بالنسبة لعادة تقديم الماء مع القهوة ، فهناك أقوال بأنها عادة ورثها القبارصة الأتراك عن أجدادهم العثمانيين الذين كانت لهم عادات وطقوس خاصة عند تناول القهوة أو تقديمها كأحد أصول الترحيب بالضيف ،

(33) * - “ Tüm erkekler kahvelerinin yanına bir bardak su isterledi . Bu bakımdan kahve servis edilirken erkek sayısı kadar su dolu bardak koymak gerekiyordu tepsiye , her zaman “ niye böyle acaba? “ diye hep kendi kendine sorardı Ayşe . Yanıtını bulmazdı . Birine sormayı da hiç düşünmedi “

حيث كانوا حريصين على تقديم كوب ماء مع القهوة للضيف ، فإذا شرب الضيف الماء قبل القهوة دل ذلك على أنه جائع فيقدمون له الطعام . أما إذا ارتشف الضيف القهوة مباشرة دل ذلك على أنه شبعان لا حاجة له إلى الطعام . (Ulla, 2001, s. 87)

ثانيا ــ المعتقدات :

تحظى المعتقدات الشعبية للمجتمعات هي الأخرى باهتمام بالغ لما لها من سلطان على وجدان الناس وعقولهم . ودون أن يدرك أفراد تلك المجتمعات حقيقة هذه المعتقدات ولا مدى صحتها ، باتت تتحكم في سلوكياتهم وتهيمن على إرادتهم . ولقد رصد (بوزقورت) في روايته بعض المعتقدات الشعبية للطائفة التركية القبرصية منها على سبيل المثال :

التطير من البومة وصوتها :

يرتبط وجود البومة أو سماع صوتها منذ القدم – في معظم الموروثات الثقافية للشعوب الشرقية – ارتباطا وثيقا بالتطيّر والتشاؤم ، اعتقادا منهم بأن هذا نذير شؤم قد يعني وفاة أحد أفراد ذلك المكان الذي شوهد فيه هذا الطائر أو سُمع صوته . وكان هذا الاعتقاد الباطل من بين المعتقدات الشعبية التي ذكرها الكاتب في روايته . فها هي ذي فائزة (والدة كمال) تظهر في أحد مشاهد الرواية وقد تطيّرت من سماعها صوت البومة في مكان بعيد فحمدت الله و» لحسن الحظ أنها لم تنعق على مقربة منها، وإلا اعتبرت ذلك نذير شؤم ، وشعرت بالاضطراب وعدم الارتياح « (Bozkurt,2007,s.171)

أما كمال بطل الرواية فلم يكن لديه معتقدات باطلة ، اللهم إلا أنه هو الآخر كان يعتبر البومة نذير شؤم أو علامة وقوع مكروه . وكان « قد تأثر في هذا الموضوع بعائشة ؛ فهي في الليلة السابقة ليوم

١٥ نوفمبر الدامي قصّت عليه أن بومة قد حطت على نتوء فوق باب الغرفة ذو العقود الكبيرة فيما كانوا يجلسون بها ، ثم راحت هذه البومة تنعق بحرقة ، ورغم خروجهم إليها ظلت البومة تنعق وتطيل النظر إلى أعينهم . وذكرت والدة عائشة وأبوها أن هذا نذير شؤم ووقوع كارثة ، فكان اليوم التالي ١٥ نوفمبر ، واستشهد شقيق عائشة الأكبر « (Boz-kurt,2007,s.171) (٣٤*)

والواقع أن التطير بمرئي أو مسموع أو معلوم أو ما شابه إنما هو عادة جاهلية نهى عنها النبي صلى الله عليه وسلم بقوله « لا عدوى ولا طِيَرَة ولا هامة ... ويعجبني الفأل» (٣٥**) أما الهامة فهو البومة وكان الناس في الجاهلية يزعمون أنها إذا نعقت فوق دار أحدهم فهذا نذير شؤم بوفاة أحد أفراد هذه الدار.

ثالثا–الأمثال والمأثورات الشعبية :

تتعدد تعريفات الأمثال الشعبية وتتنوع ، إلا أنها لا تخرج عن مضمون واحد وهو أنها عبارة عن « أقوال مقتضبة مأثورة تنطوي على الحكمة ، لا يُعرف قائلها ، أو إذا جاز التعبير طواه النسيان على مر الزمن ، فباتت هذه الأقوال تراثا مشتركا للشعب . وتُعد الأمثال وسيلة لبذل العبرة والنصح للبشر ، كما أنها مرآة عاكسة لموقفه من الحياة « (Karata, 2001, s. 52)

ولقد حرص (بوزقورت)على تضمين روايته عددا من الأمثال والمأثورات الشعبية المستمدة من البيئة المحلية والمستلهمة من المخزون

(34) * - “ Bu konuda her nasılsa Ayşe’den de etkilenmişti . Ayşe , o kanlı 15 kasım’dan bir gece önce, bir baykuşun, o sırada oturmakta oturdukları büyük kemerli odanın kapısı üstündeki bir çıkıntıya gelip tünediğini ve acı acı öttüğünü anlatmıştı . Dışarı çıktıkları halde , baykuş , gözlerinin içine baka baka ötmesini sürdürmüştü . Ayşe’nin hem annesi, hem babası uğursuzluktan felaket haberciliğinden söz etmişler . Ertesi gün de 15 kasım olmuş Ayşe’nin küçük ağabeyi şehit olmuştu “

(٣٥) ** - أخرجه مسلم في صحيحه ، كتاب السلام ، باب لا عدوى ولا طيرة ، حديث رقم ٢٢٢٢

القيمي والثقافي لها ، ليس لتوضيح فكرة أو تقريب معني فحسب ، وإنما باعتبارها كذلك ملمحًا مهما من ملامح الهوية الثقافية والموروث القيمي ينبغي الحفاظ عليه والتذكير به كوسيلة للحفاظ على الهوية الوطنية للشعب التركي القبرصي .

ومن الأمثال الواردة بالرواية ما ورد على لسان فائزة والدة كمال بطل الرواية حيث قالت « إن من يتفق في الحقل لا يتشاجر في البيدر « (Bozkurt,2007,s.154) [٣٦*] وهو مثل يُضرب عند اتفاق طرفين على القيام بأمر ما ، أي إذا أراد شخصان أو طرفان الإقدام على عمل معين فيجب عليهما الاتفاق منذ البداية ، وليكن هذا معلوما لدى الطرفين سلفا تفاديا لأي خلاف ودرءاً لأي شجار قد ينجم عن عدم الاتفاق المسبق . ويشبه هذا المثل في اللغة العربية المثل القائل « ما كان أوله شرط ، آخره نور « .

وكذلك حينما علمت فائزة بأن أبنها كمال على علاقة بامرأة أخرى حدثت نفسها قائلة « إن هذه المرأة أفقدته صوابه . كيف يحدث أمر كهذا بعد كل هذه السنوات الطوال؟! . لقد قالوا في المثل من تدنس بعد الأربعين لا تطهّره إلا خشبة الغُسل « (Bozkurt,2007,s.137)) [٣٧**] . ويقابل هذا المثل في اللغة العربية مقولة الشاعر زهير ابن أبي سُلمى في معلقته الشهيرة « وإن سفاه الشيخ لا حِلم بعده ، وإن الفتى بعد السفاهة يحلم « أي أن الفتي قد يكون نزقا طائشا سفيها في شبابه ، حتى إذا تقدم به العمر وازدادت تجاربه وخبراته مال تلقائيا إلى الحلم والرشد . في حين أن الشيخ الذي تفسد أخلاقه في هِرمه ، فتتعذر عودته مجددا إلى الرشد والحلم ؛ لأنه ليس بعد الشيخوخة إلا الموت.

(36) * - " Tarlada anlaşan , harmanda kavga etmez "
(37) ** - " Kırkından sonra azanı tenşir paklar "

وكذلك من الأمثال التي وردت على لسان كمال « اغرز المخيط في نفسك أولا قبل أن تغرزه في غيرك » (Bozkurt,2007,s.135) (*٣٨). ويعني هذا المثل أنه يتعين على المرء أن ينتقد نفسه قبل أن ينتقد غيره من الناس .

ويتضح من كل ما تقدم أن (إسماعيل بوزقورت) كان يؤمن إيمانا راسخا لا يتزعزع بأن التمسك بالموروث الشعبي والثقافي هو صمام الأمان والضمان الحقيقي لاستمرار وجود الأمة واحتفاظها بهويتها وخصوصيتها ، فأمة بلا هوية أو موروث ثقافي إنما هي أمة ضائعة فاقدة للذاكرة . لقد وقر في يقينه واستقر في وجدانه أن الشعب التركي القبرصي أحوج ما يكون لممارسة فعل المقاومة والصمود بتمسكه الصارم بموروثاته الشعبية ، لا سيما في ظل ما يواجهه هذا الشعب من ظروف عصيبة وتحديات أبرزها عدم اعتراف المجتمع الدولي – باستثناء تركيا – بدولته رغم عقود طويلة مضت على تأسيسها ، فتمسك هذا الشعب بموروثه الثقافي مطلب وطني ملح للدفاع عن الذات التركية القبرصية والحفاظ عليها.

(٣) ــ ترسيخ الوعي بالآخر العدواني وفضح ممارساته اللاإنسانية :

كذلك تجلت ملامح المقاومة لدى (إسماعيل بوزقورت) في سعيه إلى ترسيخ وعي مواطنيه بالآخر العدواني والمقصود به في الرواية طائفة القبارصة اليونانيين والتي تبنّت أيديولوجية عدائية وثقافة عنصرية تصادر حق شركائهم في الوطن من القبارصة الأتراك في العيش الآمن على أرض الجزيرة ، وتغدر بهم ساعية إلى قتلهم وإبادتهم أو على الأقل تضييق الخناق عليهم وطردهم وتهجيرهم قسريا حتى تخلص لهم الجزيرة وحدهم دون غيرهم.

ولقد استحضر (بوزقورت) صورا عديدة ومتباينة للظلم والممارسات اللاإنسانية التي تعرض له الأتراك القبارصة على أيدي العصابات اليونانية

(38) * - “ İğneyi kendine çuvaldızı başkasına batır “

من قمع وتشريد اعتقال وتعذيب وإذلال نفسي لا حدود له . ومن أمثلة تلك الممارسات القمعية ما تعرّض له والد كمال حين وقع أسيرا في أيدي العصابات اليونانية التي اعتقلته وكل من لم يستطع الهرب إلى القرى المجاورة حيث سيق ومن معه عدة كيلومترات سيرًا على الأقدام وهم يمتهنون كرامتهم ويدفعونهم بالتعدي عليهم بالضرب بمؤخرات البنادق . لقد ظل طيلة عمره يعاني الأوجاع الجسدية والنفسية جرّاء ما تلقاه آنذاك من ركلات وضربات بمؤخرة البنادق. (Bozkurt,2007,s.21)

كذلك يستفيض (بوزقورت) في وصف ميول اليونانيين الإجرامية من خلال التركيز على ما ألحقوه بوالد كمال ومن معه من ألوان التعذيب حيث اعتقلوهم وكدّسوهم في حجرة واحدة « وبين اللحظة والأخرى كانوا يتلقفون أحدهم يمضون به ويوسعونه ضربا ثم يعيدونه – بعد أن يستجوبونه – كتلة من لحم ... ومن حين لآخر كانت يتردد دوي إطلاق النار من الخارج ويُسمع بين جنود اليونانيين القبارصة من يقول « لقد قتلنا كلبا آخر « (Bozkurt,2007,s.22) (*٣٩)

ويستمر الكاتب في فضح المجازر التي راح يرتكبها اليونانيون بحق العُزّل من النساء والشيوخ إلى غير ذلك من الصور والمشاهد التي تفضح إجرام العدو الذي لم يسلم منه حتى الأطفال ، حيث كان من بين ضحايا عمليات القتل الهمجية هذه ياسمين ابنة كمال إذ « خرجت إلى الحديقة دون أن يفطن إليها أحد فانفجرت فيها قذيفة هاون أطلقها القبارصة اليونانيون مزقتها أشلاء وكانت قد أتمت لتوّها عامها الثالث « (Bozkurt,2007,10)

(39) * - “ Arada bir, birini alıp götürüyorlar , işkence ederek , dayak atarak sorguladıktan sonra külçe halinde geri getiriyorlardı .
Yine arada bir , dışarıdan silah sesleri geliyor Rum askerlerinin kendi aralarında , « Bir köpeği daha temizledik « dedikleri duyulurdu « .

ولا يتواني (بوزقوت) في مواضع أخرى من روايته في تسليط المزيد من الأضواء على مدى وحشية القبارصة اليونانيين الذين لم تأخذهم الشفقة بعجوز بلغت الثمانين من عمرها فأمطروها بوابل من الرصاص . إذ يصور هذا قائلا « كذلك لم تنس (فائزة) قط جثة جارتها العجوز بعد أن عادت أيضا إلى الدار ، حيث كانت أسرتها قد تركت الدار ، وكان الرجال في جبهة القتال . أما النساء فكن قد ذهبن مع غيرهن إلى دار السينما. وكانت المرأة العجوز في الثمانين من عمرها وطريحة الفراش ، فتركوها بالدار . وحينما عادوا وجدوها في فراشها أشلاء ممزقة ، وتعالت الصرخات فهرعت فائزة على أثرها لتراها . ولم يكن ذلك المشهد المروع يغيب عن عينها » (Bozkurt,2007,s.22) (٤٠***)

وليس ببعيد عن المشاهد السابقة مشهد آخر يوثق فيه الكاتب روائيا واقعة تكشف عن مبلغ وحشية الآخر اليوناني وجرائمه في حق الطائفة التركية القبرصية هي واقعة سكب اليونانيين البنزين على جثة رجل مسن جاوز الثمانين بعد أن أردوه قتيلا برصاصهم والمعروف باسم الخال محمد أمين (Mehmet Emin Dayı) . يصور الكاتب هذا قائلا « وكان هناك على يمينهم شخص طويل القامة يتمدد على الأرض تتصاعد منه ألسنة اللهب. لقد كان يحترق . وتغشت المكان رائحة حادة هي رائحة لحم يُشوى في النار . واستطاعت عائشة أن تنظر إلى تلك الجهة

(40) *** - “ Faize bir de eve döndükten sonra , komşusu yaşlı kadının ölüsünü hiç unutamıyordu . Ailesi evi terk etmişti . Erkekler mevzide , kadınlar diğerlerinin yanına , sinemaya gitmişlerdi . yaşlı kadın seksenlik ve yatalaktı . Onu evde bırakmışlardı . Döndüklerinde onu yatağında , delik deşik olarak buldular . Çığlıklar üzerine Faize de koşup gitmiş ve onu görmüştü . O korkunç görüntü gözünün önünden gitmezdi “

فأطلقت صرخة وتهيجت معدتها وشعرت برغبة عارمة في القيء ، إلا أنها لم تستطع التقيؤ. فالجسد الذي يحترق والذي طالعته عائشة هنالك وعلمت أنه الخال محمد أمين الزنجي البالغ من العمر ثمانين سنة لم يفارق ذاكرتها قط . فبعد أن أطلق القبارصة اليونانيون النار على الخال محمد أمين سكبوا البنزين على جثته وأحرقوها « (Bozkurt,2007,s.99) (*٤١)

كذلك لا يتوانى (بوزقورت) عن الكشف عن الأوضاع البغيضة التي عاشتها الطائفة التركية القبرصية خاصة من النساء والعجائز والأطفال وما نالهم من قمع وإذلال نفسي على يد اليونانيين . ولعل اعتقال النساء وتعذيبهن يبدو أشد قسوة من اعتقال الرجال وتعذيبهم خاصة حين يتخذ هذا التعذيب طابعا جنسيًا . يتكشف هذا في المشهد الذي يصوّر فيه الكاتب عصابات اليونانيين وقد اقتادوا مئات الأطفال والفتيات والعجائز وكدسوهم في أحد المقاصف على الطريق الرئيسي وراحوا يرهبونهم بشتى الوسائل ، إذ تقدم أحدهم وهو يقول « هيا احضروا صفائح البنزين لنسكبها على هؤلاء الأوغاد ونضرم النار فيهم ! فيرد آخر « هل أنت مجنون ؟! لنذق أولا طعم الفتيات ثم نحرقهم ، فتتعالى الضحكات من خلفه. وهنا يرتفع صوت آخر قائلا : هل سمعت يا نيقو ؟ لقد قتلوا رجال هؤلاء النسوة . علينا أن نجعلهن يحفرن قبورهم . فتتعالى الصرخات من الداخل ، والضحكات من الخارج ، وتمتزج أصوات الضحكات بالقهقهات « (Bozu-rt,2007,s.100) (**٤٢)

(41) * - “ … bir insan , uzun upuzun yere uzanmışm, üstünden alevler çıkıyordu. Yanıyordu. Ateşte kızarmış keskin bir et kokusu yayıldı ortalığa . Ayşe bir kez bakabildi o tarafa . bir çığlık attı . Aynı anda midesi kabardı. Kusmak istedi , kusamadı . Orada Ayşenin gördüğü ve sonradan seksenlik zenci Mehmedemin Dayı’nın öğrendiği yanan insane vücudu , Ayşe’nin belleğinden hiç çıkmadı . Rum askerleri Mehmedemin Dayı’yı vurduktan sonra vücuduna benzin döküp yakmışlar «

(42) ** - “ Biri atılıyor : Hadi , getirin benzin bidonlarını . Döküp yakalım bu köpekleri . Bir an önce bitsin bu iş “ diyordu .

(٤) ــ التنديد بصمت المجتمع الدولي :

ولا يكتفي (إسماعيل بوزقورت) بفضح وحشية الآخر العدواني متمثلا في الطائفة القبرصية اليونانية وممارساتها الإجرامية بحق الطائفة التركية ، بل يتعداه إلى التنديد بصمت المجتمع الدولي عامة وقوات حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة خاصة على تلك الجرائم ويدين تخاذلهم في حماية المستضعفين من النساء والعجائز والأطفال الأتراك الذين اقتادتهم العصابات اليونانية على مرأى ومسمع من قوات حفظ السلام ، فيرصد ذلك التخاذل قائلا « بينما كانوا مارين من أمام معسكر قوة حفظ السلام التابعة للأمم المتحدة صرخت النسوة : النجدة .. أنقذونا ! ولا حياة لقوات حفظ السلام هذه قط . أو بمعنى أصح تظاهرت بعدم السمع ولم تحرك قوات هذه المنظمة العالمية التي تأسست من أجل السلام شعرة من أجل إنقاذ هؤلاء الأسرى الذين يتشكلون من النساء والعجائز والأطفال والرُضّع » (Bozkurt,2007,s.100)(٤٣*)

ولعل الكاتب يهدف – من جهة – من وراء تصويره لوحشية القبارصة اليونانيين وما اقترفوه من جرائم في حق الطائفة التركية إلى فضحهم أمام أنظار العالم والتنديد بصمت المجتمع الدولي وتخاذله ، ومن جهة أخرى يهدف إلى ترسيخ وعي مواطنيه بتلك الممارسات الإجرامية إذكاء لروح الصمود والمقاومة بداخلهم واستنهاض الهمم لديهم لمقاومة عدوهم .

Başkası yanıtlıyordu : “ Deli misin sen ? Önce kızların tadına bakalım , sonra yakarız “ diyordu .

Kahkahalar yükseliyordu arkasından .

Derken başka bir ses yükseliyordu : “ Duydun mu Niko ? Bunların erkeklerinin tümünü temizlemişler . Mezarlarına açtıracağız “ diyordu bu ses “

(43)* - “ Birleşmiş Milletler Barış Gücü kampının önünden geçerlerken bağırdılar, İmdat diye , bizi kurtarın ! diye . Barış Gücü askerleri hiç oralı olmadılar, daha doğrusu duymazlıktan geldiler. Barış için kurulmuş koskocaman Dünya Örgütünün askerleri , kadınların , yaşlıların , çocukların , bebeklerin oluşturduğu bu tutsakları kurtarmak için kullarını bile kıpırdatmadılar “

(٥) ــ رفض التطبيع مع الآخر العدواني :

بعد أن يكشف الكاتب صورة الآخر المعتدي بغدره وممارساته الإجرامية واللاإنسانية ضد الأتراك وتنكيله بهم وإذلاله لهم ، يتكئ على ذلك ليقرر بجلاء ووضوح رفضه لأي شكل من أشكال التصالح معه وعدم قبوله لكافة الدعوات المطالبة بإعادة توحيد شطري الجزيرة من جديد والتطبيع مع الآخر اليوناني ، وعليه تصبح مقاومة التطبيع جزءا لا يتجزأ من ثقافة المقاومة وتمثلاتها ، فمقاومة التطبيع يُعد تأكيدا للهوية وترسيخا للانتماء الصادق ، مما يجعل تصورات دعاة التطبيع للعيش المشترك مجرد وهم . يتقرر هذا الرفض الحاسم للتطبيع مع العدو اليوناني على لسان والدة كمال في حوارها مع ابنها كمال حيث قالت « أود أن يحدث اتفاق ولا تندلع الحرب ثانية . لكن لا يخالطنا هؤلاء القبارصة اليونانيون ثانية يا بني! وليعش كل منا مستقلا بحياته ، لا دخل لنا !.... على أية حال لا يمكن الوثوق بهؤلاء البشر ثانية » (Bozkurt,2007,153) (٤٤*)

ويشدد الكاتب على رفضه للتطبيع والتعايش السلمي مع القبارصة اليونانيين في موضع آخر من الرواية على لسان والدة كمال حينما سألها عما إذا كانت تود العودة إلى قرية (لافكارا) مسقط رأسها في الجنوب قبل تهجيرها منها قسريا إذا تم الاتفاق على ذلك ، حيث ردت قائلة « أعاذنا الله يا بني ! إنني أود رؤية قريتي مجددا . لكن أراها فحسب هذا كل ما في الأمر . لا أستطيع المضي إلى هناك ومخالطة القبارصة اليونانيين ثانية . لا يمكنني أن أتعايش معهم . لا يمكنني أن أثق هؤلاء « (Bozkurt,2007,154) (٤٥**)

(44)*- “ Bir anlaşma olsun , yine savaş olmasın isterim ama bu Rum’la bizi yeniden karıştırmasınlar oğlum ! Ayrı ayrı yaşayalım .Nemize gerek ! … Ne olur ne olmaz , bu insanlara güvenilmez!... “

(45)** - “ Aman , Allah göstermesin oğlum . Ben köyümü yeniden görmek isterim . Yalnız görmek , o kadar . Gidip Rumla içiçe yaşamam . Güvenemem onlara ! “

ولئن كان الكاتب قد كشف عن وجهة نظره الرافضة للتطبيع والتعايش السلمي مع الآخر اليوناني على لسان والدته باعتبارها تمثل وجهة نظر عامة الشعب فقد أكد على أن مسألة التطبيع يتفق على رفضها العامة والمثقفون على السواء ، فيقرر على لسان كمال – باعتباره نموذجًا للمناضل المثقف – رفض المثقفين الوطنيين للتطبيع ، وذلك حينما سألته والدته السؤال نفسه عن مدى استعداده للعودة إلى (لافكارا) في الجنوب حيث رد قائلا « لا أعود يا أماه ! « (Bozkurt,2007,s.154) (٤٦***)

(٦) ــ الالتصاق بالأرض والانتماء للمكان :

تُعد تمثلات الالتصاق بالأرض والانتماء للمكان أبرز تمثلات ثقافة المقاومة والصمود في هذه الرواية ، وعليه لا يتقاعس (بوزقورت) على امتداد روايته عن التعبير بجلاء عن مدى التصاق شخصياته بالأرض وارتباطهم العضوي بها رغم كل ما لحق بهم من قمع وإرهاب وتهجير قسري ، وقد انعكس هذا الالتصاق القوي بالأرض ــ على نحو ما صوّر الكاتب ــ في حنين تلك الشخصيات الجارف لها ، وإحساسهم بأن حياتهم قد تبدلت ، بل انقلبت رأسا على عقب جراء تهجيرهم قسريا من القرى التي ولدوا فيها ودرجوا في ربوعها، وما ترتب على ذلك من صدمات نفسية ظلوا يعانون منها . وقد ركّز (بوزقورت) على المقارنات التي طالما ألحت على وجدان هذه الشخصيات بين ماض سعيد وحاضر بغيض ، فالأرض التي نزحوا إليها لا يألفونها كما كانوا يألفون الأرض التي وُلدوا فيها . كذلك لا يأنسون بوجوه سكانها كما كانوا يأنسون بوجوه أهلهم وذويهم . وهنا يغدو المكان موحشا لا يبعث على الأنس والطمأنينة ، ويلازمهم حنين جارف إلى أراضيهم التي اُقتلعوا منها .

(46)*** - "Dönmem Anne!"

فهـا هـي ذي عائشـة زوجـة كمـال يتجلـى التصاقهـا بالقريـة التـي ولـدت وتربـت بهـا مـن خـلال مشـاعر الحـزن والغربـة التـي تنتابهـا وتلازمهـا فـي القريـة التـي نزحـت إليهـا فـي الشـمال ، حيـث « كانـت تعانـي دائمـا الغربـة فـي هـذه القريـة ، و يعتريهـا شـعور بأنهـا قدمـت إلـى مـكان غريـب لا تعرفـه . والآن تعتريهـا المشـاعر نفسـها فيمـا هـي تجـوب شـوارع القريـة متجهـة إلـى منـزل يوسـف شـقيقها الأكبـر. وعلـى الرغـم مـن أنهـا كانـت تقابـل وجوهـا كثيـرة تعرفهـا ، ورغـم أنهـم كانـوا يظهـرون لهـا الـود ، لـم تكـن تشـعر بالارتيـاح . أكان الأمـر كذلـك فـي القريـة التـي وُلـدت بهـا ؟ لقـد كانـت تشـعر أنهـا حقـا كعصفـور فيمـا هـي تجـوب شـوارع تلـك القريـة ، وكانـت تطيـر مـن السـعادة . حيـث كانـت تعـرف شـوارع القريـة وأزقتهـا كافـة وكل حجـر فيهـا وكل أناسـها وحتـى حيواناتهـا ، وكأن لهـا سـابق معرفـة بالجميـع « (Boz-kurt,2007,s.113) (٤٧*)

ويسـتمر الكاتـب فـي تكثيـف حميميـة العلاقـة بيـن التركـي القبرصـي وأرضـه مـن خـلال التركيـز علـى ارتبـاط عائشـة بقريتهـا فـي الجنـوب ، وبيـان حالـة الاغتـراب والتصـدع النفسـي دهتهـا بعـد أن اضطـرت إلـى تـرك قريتهـا ودارهـا التـي تقلبـت فيهـا فـي أعطـاف الخيـر ونعمـت فيهـا بالطمأنينـة ، لتنعقـد المقارنـة تلقائيـا فـي مخيلتهـا بينهـا وبيـن دارهـا الجديـدة التـي لـم تشـعر داخلهـا بالتماهـي والأنـس . « فعائشـة لـم تحـب قـط قريـة گچيد قلعـة الجديـدة Yeni Geçit Kale الواقعـة فـي الشـمال والتـي سـكنها أهـل قريتهـا الذيـن نزحـوا مـن قريـة (گچيد قلعة) الواقعـة فـي الجنـوب . ولـم تكـن تأنـس

(47) * - " Ayşe bu köyde hep yabancılık çekerdi .Bilmediği bir yere gelmiş duygusuna kapılırdı . Şimdi de köy sokaklarında Yusuf ağabeyinin eve doğru yürürken aynı duygular içindeydi…. Sık sık tanıdık yüzlerle karşılaşmasına , onların kendisine yakınlık göstermelerine karşın , rahat değildi . Oysa ki doğduğu köyde böyle miydi ? köy sokaklarından geçerken kendisini kuş gibi hafif hisseder , mutluluktan uçardı . Köyün her sokağını , her evini , her taşını , insanlarını , hatta hayavanlarını tanıyordu . Herkesle tanışlığı var "

بهذا المكان قط بل كانت تشعر فيه بالغربة.... وفي الأيام الخوالي كانت السعادة تغمر قلبها فيما كانت ذاهبة إلى قرية كچيد قلعه في عطلة نهاية الأسبوع . حيث كان لها في كل مكان ذكريات حلوة ومرة . وكانت دار والدها المبنية بالطوب اللبن ، والسقف العالي المغطى بالقرميد مصدرا للشعور بالطمأنينة رغم سوء طباع أبويها الذي لا يطاق . ولم تكن تشعر بالسأم قط حتى وإن مكثت لساعات طويلة في غرف معيشتها الكبرى ذات العقود العظيمة « (Bozkurt,2007,104) (٤٨**)

ويستفيض (بوزقورت) وصفه لدار عائشة الجديدة التي انتقلت إليها قائلا « أما هذا المبنى الخرساني الذي استقرت به أسرتها بعد نزوحهم إلى الشمال عام ١٩٧٥ فقد كان دارا حضرية عادية . وعلى الرغم من أنها كانت دارا مريحة بمدخلها وبهوها وغرف نومها الثلاث ومطبخها وحمامها وحديقتها الواسعة ، إلا أنها كانت تفتقر إلى الدفء الذي كان يتسم به دارها الريفي الذي ولدت وترعرعت فيه» (Bozkurt,2007,104) وهكذا ظلت تلك الدار الجديدة وتلك القرية التي نزحت إليها عائشة لا تعدو بالنسبة لها أكثر من محل إقامة مؤقت تعجز عن التأقلم معه ومع أهله ، ولا تعتبرها وطنا لها مهما طال مكثها بها ، ويترتب على ذلك معاناتها من ويلات الاغتراب المكاني وإحساسها بالوحدة والغربة والمرارة والحنين الجارف إلى الوطن المفقود .

كما يؤكد (بوزقورت) على شعور المرارة والأزمة النفسية التي أصابت المواطن التركي القبرصي جراء اقتلاعه من أرضه وتهجيره ،

(48) ** - “ Ayşe , Güney›deki Geçitkale›den göç etmiş olan köylülerinin oturduğu kuzeydeki yeni Geçitkale›yi hiç sevmezdi . Buraya hiç ısınmamış , hep yabancılık çekmişti …. Eskiden arada bir haftasonları Geçitkale’ye gittiklerinde içi sevinç dolardı . Her yerde acı tatlı anıları vardı . Kerpiç duvarlı , yüksek tavanlı , damı kiremitli baba evi , anası ile babasının çekilmez huysuzluğuna karışın , onun için bir huzur kaynağı idi . koca kemerli büyük oturma odalarında saatlerce otursa usanmazdı “

ويمكن استجلاء شيء من ذلك من خلال بيان وقع صدمة التهجير هذه على نفس والد كمال وما عاشه من ظروف بغيضة لم يقو على احتمالها فقتلته كمدا « وقد تأثر المرحوم بهذه الأمور أكثر من أي شخص آخر . ومنذ أن قدم إلى هنا لم ير خيرا قط ولم تتركه الأمراض وشأنه، ودهمته الأحزان فجعلته في حالة يُرثى لها . وذات يوم قبل عامين جاءت أوراق التسوية . ولم تكن القيمة التي حُددت للدار الكبيرة التي تركوها والدكان وحدائق الخروب والزيتون والحقول وحدائق اللوز لتغطي حتى ثمن الدار التي سكنوها. ولم يستطع المرحوم ــ عاشق الأرض الذي حقق ثروته هذه بعرق جبينه ــ أن يتحمل وقع هذه الضربة ، وحزن حزنا أودى بحياته « (Bozkurt,2007,s.26) (*٤٩)

ويستمر الكاتب في إظهار عمق مشاعر الانتماء لدى شخصياته والتي تمثلت في مدى ارتباطهم والتصاقهم بأرضهم ، ليس باعتبارها حيزا جغرافيا ضيقا، وإنما باعتبارها حيزا اجتماعيا يشكل وجدانهم ويصوغ وجودهم ، فيداعب تفكيرهم دائما الحنين إلى الأرض ، ويظلون يتابعون أخبارها في لوعة واشتياق . وذلك من خلال وصفه مدى الحنين الجارف في نفس كمال لداره حينما علم من والدته ـــــ التي دأبت على متابعة أخبار وطنها السليب في التليفزيون اليوناني ـــــ أنه قد عرض مشاهد للقرية التي عاشوا بها أظهرت دارهم سليمة لم تتهدم ، وإنما استولت عليها إحدى الأسر اليونانية « ويلوح أمام ناظريه الدار التي ولد بها ، وكانت دارا من حجر أشبه بالقلعة ، ذات فناء فسيح تحيط أطرافه أسوار

(49) * - “ Bu işlerden en çok rahmetli etkilendi. Buraya geldikten sonra hayır yüzü görmedi . Hastalıklar peşini bırakmadı . Üzüntüler kendisini perişan etti . iki yıl önce bir gün eşdeğer kağıtları geldi . Güneyde bıraktıkları kocaman eve , dükkana , harnıplıklara , zeytinliklere , tarlalara , bademliğe ,bağa biçilen değer , oturdukları evi karşılamıyordu bile !
Malvarlığının çoğunu alınteri ile kazanan , toprak delisi rahmetli , bu darbeye dayanamadı . Yüreğine indi ve gitti “

حجرية . وكانت حجرة كمال تقع في فناء الدار... وحينما كان يطل من نافذتها كان يرى الجبال العظيمة . وكانت تلك الجبال شديدة الاخضرار تكسوها أشجار الخروب والزيتون . كان دائما يشعر الاشتياق إلى الدار والقرية التي ولد بها .... وبعد انقضاء سنوات كثيرة ، إلى الآن لا تزال تلح قريته وداره عليه في أحلامه في بعض الليالي . إلى ذاك الحد كان يشعر بالاشتياق إلى داره وقريته « (Bozkurt,2007,s.151) (**٥٠)

وفي موضع آخر من الرواية يلح (بوزقورت) على استجلاء انتماء شخصياتها والتصاقهم العضوي بالأرض من خلال تصويره لتعلق كمال بشجرة اليوسفي الكائنة في منزل والدته ، والتي تتعدى رمزيتها مجرد شجرة تشغل أغصانها حيز عدة أمتار ، لترمز إلى قبرص المترسخة في أعماقه ، حين خطر ببالله فجأة أن يسأل أمه قائلا : « هل نضج اليوسفي يا أماه ؟ حيث كانت هناك شجرة يوسفي إلى جوار الأشجار الأخرى بالحديقة . وكانت لثمارها رائحة زكية وطيبة للغاية ، ولم يجد كمال هذه الرائحة في أي مكان قط « (Bozkurt,2007,s.148) (***٥١)

(٧) ــ نقد الذات الجمعية والكشف عن عوامل ضعفها :

ولم يكتف (بوزقورت) بالكشف عن مجمل العوامل المعززة للذات الجمعية وعناصر تعضيدها وتقويتها ، إنما تعداه إلى رصد معاول الهدم

(50)** - " Kemal'in gözünün önüne içinde doğduğu ev geldi . Taştan , kale gibi bir evdi . Etrafı taş duvarla çevrili kocaman bir avlusu vardı . Kemal'in odası hanayda idi . Görkemli bir görüntü vardı . Penceresinden bakınca ! koca koca dağlar görünürdü . Yemyeşil , harnıplıklarla zeytinliklerle kaplı idi o dağlar .
Hep özlerdi doğduğu evi , köyünü …. Bunca yıl geçtikten sonra , şimdi bile bazı geceler , köyü ve evi düşlerine giriyordu . O kadar özlem duyardı evine ve köyüne ! "
(51)*** - " Birden aklına geldi Yusufçuklar oldu mu anne !
Bahçede diğer ağaçların yanında bir de yusufçuk ağacı vardı . Meyvelerinin nefis , çok güzel bir kokusu vardı . Kemal bu kokuyu hiçbir yerde bulmamıştı"

التي تفت في عضدها وتقوّضها ، وكان من أبرزها الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي المستشري في البلاد من بعد عام ١٩٧٤. ولعل الكاتب يهدف من وراء ذلك إلى رفع مستوى الوعي السياسي لدى أفراد مجتمعه أملا في إيقاظ هممهم لمكافحة ذلك الفساد ، وإصلاح الجبهة الداخلية وتعزيز قدرتها على الصمود أمام تهديدات الآخر اليوناني ، حيث إن ممارسة فعل المقاومة والصمود يجب أن تبدأ من إدراك الذات لنواحي القصور ونقاط الضعف فيها حتى يمكنها تلافيها قبل أي مواجهة مرتقبة مع العدو ، الذي قد يفطن إليها ويستغلها أسوء استغلال لحسم الصراع لصالحه .

ولقد تعددت صور الفساد السياسي والاقتصادي التي كشف (بوزقورت) عنها النقاب في روايته ومن أبرزها ما يلي :

أ – **التعصب الحزبي** :

من أبرز ما كشف عنه الكاتب من صور الفساد السياسي وشدد عليه هو التعصب الحزبي الذي يتخطى حدود الانتماء إلى الوطن نفسه ، حيث يتضخم الانتماء إلى الحزب الحاكم أكثر من الانتماء للوطن ذاته ، وتتفاقم المشكلة أكثر حينما يتم إعلاء المصلحة الحزبية على المصلحة الوطنية ، وما يستتبع ذلك من التمييز بين أفراد الشعب بمنطق طبقي فج وفقا لانتماءاتهم الحزبية أو السياسية ، بحيث يصبح المنتمي للحزب الحاكم مواطنا من نوع خاص يُعامل معاملة خاصة ، ويظفر بامتيازات ومناصب لا تتفق مع مؤهلاته وتراثه الوطني . بل قد تصل درجة محاباة المنخرطين في للحزب الحاكم إلى انتهاك القوانين والتشريعات لصالحهم ؛ مما يشجع الكثيرين من الانتهازيين والوصوليين الذين لا تحكمهم مبادئ ولا قيم على التزلف والتقرب من السلطة الحاكمة طمعًا في تحقيق مصالحهم الشخصية من خلال التلاعب بالمقدرات الاقتصادية للبلاد ونهب خيراتها ، ليس باعتبارهم أفرادا وإنما عصابات تحتمي بمظلة الحزب الحاكم وتستأسد

على المواطنين البسطاء وذلك كله على مرأى ومسمع من السلطة التي لا تحرك ساكنا إزاء فساد هؤلاء المحسوبين على الحزب الحاكم . يقرر (بوزقورت) كل ما تقدم بقوله « ولقد تخطى التحزّب كونه تعصبًا، وتوحد الحزب الحاكم مع الحكومة ، وصار المواطن يُعامل وفقا لولائه للسلطة أو عدمه ، وكانت القوانين تُنتهك من أجل الموالين للسلطة ، أما غير الموالين لها فكانت الأبواب كافة تُسد في وجوههم . ويُنتهك أو يوشك أن يُنتهك حق المعارضين للسلطة في الحياة . بالضبط مثلما كان يفعل القبارصة اليونانيون قبل ١٩٧٤ حيث كان يلفظون الأتراك القبارصة ويمتهنون كرامتهم لمجرد أنهم أتراك ، وحاليا يعيش معارضو النظام الوضع نفسه « (Bozkurt,2007,s.124) (*٥٢)

وكذلك كان من تجليات هذا التحزّب إقصاء الوطنيين المخلصين أصحاب التاريخ والتراث النضالي، واحتلال مجموعة من الانتهازيين الصدارة في الحزب الحاكم والبرلمان والنقابات والمنظمات الأهلية ، حتى غدا الحزب الحاكم مأوى للانتهازيين وخونة القضية الوطنية. فكمال تتم إزاحته عن منصبه كمستشار في إحدى الوزارات رغم نزاهته واستحقاقه وتاريخه النضالي المشرف في منظمة المقاومة التركية ، لا لشيء إلا لكونه حياديا ومن غير المنتمين للحزب الحاكم . على نحو ما ورد على لسان برهان وهو يحاور كمال حيث قال «... أنت شخص أدي كل ما كُلف به من مهام في معركة المقاومة وحقق النجاح دوما في كل الوظائف الحكومية التي شغلها. وماذا حدث؟ ضحوا بك ذات يوم ! لماذا لأنك لم

(52) * - " Partizanlık , partizanlık olmaktan olmaktan çıkmış , Devlet'le iktidar partisi bütünleşmişti . Yurttaş , iktidardan yana ya da olmamasına göre karşılık görüyordu. İktidardan yana olanlar için tüm kurallar çiğneniyordu , iktidara karşı olanlara ise tüm kapılar kapatılıyordu . İktidar karşıtlarına , neredeyse bu ülkede yaşam hakkı tanınmayacaktı. Tıpkı Rum'un 1974 öncesinde yaptığı gibi . O zamanlar Kıbrıslı Türkler , sırf Türk oldukları için itilip kakılıyor , aşağılanıyor , horlanıyordu . İktidara karşı olanlar , şimdi aynı durumda idiler "

تكن منهم . لم يكن ليكفي كونك حياديا؛ لأن لم يعد في سجلهم إلا شيئا واحدا : هو من معهم ومن عليهم . ولو أنت منهم ، فليست هناك مشكلة . أما إذا لم تكن منهم فلا يعترفون بحقك في العيش في هذا المجتمع. ولهذا يستخدمون إمكانيات الدولة وقوة الحكومة .... ومن يقاومهم يفصلونه من عمله ، ولا يعينون عاطلا ... ولا يقومون بتوصيل الهاتف لمن يطلبه. باختصار إنهم يلجئون إلى كافة الوسائل في تكدير معيشة من ليس منهم » (Bozkurt,2007,s.40)

كذلك تتأكد هذه الفكرة بشكل أوضح على لسان برهان المحامي المعارض في حواره مع مراد المحامي الانتهازي وأحد المنتمين للحزب الحاكم ، إذ يقول له : « لقد غدا حزبك مأوى لكل من هرب من المقاومة التركية القبرصية ، بل من عارضوا هذه المقاومة وتعاونوا مع لقبارصة اليونانيين ، وخانوا مجتمعهم " (Bozkurt,2007.s.42) (*٥٣)

ويستمر الحزب الحاكم أو السلطة الحاكمة في استغلال كافة الصلاحيات والوسائل لاضطهاد المعارضين والرافضين الانخراط في صفوف الحزب الحاكم والضغط عليهم ، فعلى سبيل المثال كان يجري استخدام خطوط الهواتف الأرضية كأداة ضغط على المعارضين للحكومة ، حيث يسأل كمال والدته عما انتهى إليه الطلب الذي قدمته لتوصيل خط هاتف أرضي ، فتشتكي له من تعنت المسئولين وصعوبة الأمر ، فيسألها عن سبب تعنتهم هذا فترد قائلة « ... يبدو أن في الأمر عصبية حزبية ، إذ لم تكن الحكومة تقوم بتوصيل الهاتف لغير المنخرطين في الحزب الحاكم . وكان الجيران يقولون أن جارا يسكن على بعد ثلاثة منازل نشر إعلانا في الصحف من أجل الحصول على خط هاتف ، كتب فيه أنه من المنتمين

(53) * - " Senin partin Kıbrıs Türkünün direnişinden kaçmış , hatta bu direnişe karşı çıkmış , Rumla işbiriği yapmış , toplumuna ihanet etmiş olanların sığınağı olmuştur "

للحـــزب الحاكـــم !. كان علـــيّ أن أكتـــب أنـــا أيضـــا هـــذا ؟! « (Bozkur,2007,s.15) (٥٤**)

ويـنـــدد (بوزقـــورت) بفســـاد الحكومـــة السياســـي وسياســـتها الاقتصاديـــة التـــي تنتهجهـــا ويحمّلهـــا مســـئولية تفشـــي الفقـــر والعـــوز وانتشـــار البطالـــة بيـــن القطاعات العريضـــة مـــن الشـــعب ، فـــي وقـــت ظهـــرت فيـــه طبقـــة ممـــن حققـــوا الثـــراء مـــن معانـــاة الجماهيـــر ؛ ممـــا دفـــع الكثيريـــن مـــن الشـــباب التركـــي القبرصـــي إلـــى الهجـــرة إلـــى اســـتراليا وانجلتـــرا وتركيـــا « ولـــم يكـــن كمـــال يحـــب السياســـة . ولهـــذا لـــم يكـــن يدخـــل فـــي أي نقاشـــات ... لقـــد كان يـــرى الوضـــع الـــذي آلـــت إليـــه البـــلاد، وأن السياســـة الاقتصاديـــة المطبقـــة قـــد أفـــرزت طبقـــة جديـــدة فـــي المجتمـــع ، وأن الجماهيـــر العريضـــة مـــن الشـــعب أصابهـــا الفقـــر والفاقـــة علـــى مـــر الأيـــام . لقـــد كان يـــرى أنـــه قـــد تأســـس نظـــام يُكافـــأ فيـــه الانتهازيـــون والمحتالـــون والســـاعون وراء الكســـب الســـهل ، لا الكادحيـــن والمنتجيـــن. كان يـــدرك أن الشـــباب الأنقيـــاء يهاجـــرون إلـــى انجلتـــرا واســـتراليا بســـبب البطالـــة وتعرضهـــم للمهانـــة، وذلـــك فـــي وقـــت تمتلـــئ البـــلاد فيـــه بالعمالـــة المشـــردة . كان يعـــي أن النقابـــات والمنظمـــات الجماهيريـــة تتداعـــى وتنهـــار فـــي كل يـــوم يمضـــي ، وأنـــه قـــد تـــم تغييـــب لـــب الديمقراطيـــة « (Bozkurt,2007,s.125) (٥٥)

(54) ** - “ İşin içinde particilik varmış , Hükümet partisinden olmayanlara telefon bağlamıyorlarmış . Üç ev ötede biri var . Komşular söylüyordu . Telefon alabilmek için gazetelere ilan vermiş . Hükümet partisinden olduğunu yazmış . Ben de yazmalıyımışım ! “

(55) - “ Kemal , politikayı sevmezdi . Bu bakımdan tartışmalara girmezdi . Ülkenin içinde bulunduğu durumu , uygulanan ekonomik politikalarının toplumda yeni bir sınıfın yaratığını , kitlelerin giderek yoksullaştığını , çalışan ya da üretenin değil üçkağıtçıların , vurguncuların , kolay kazanç peşinde olanların ödüllendirildiği bir düzen kurulduğunu görmüyor değildi . Pırıl pırıl gençler, işsizlikten , horlanmaktan dolayı İngiltere’ye , Avustralya’ya göç ederken ülkenin kaçak işçilerle doldurulduğunu bilmiyor değildi . Sendikaların , kitle örgütlerinin her geçen gün çöktürüldüğünü , demokrasinin özünün ortadan kaldırıldığını anlamaması olanaksızdı “

ب ــ الانحراف عن قضية الوطن الأساسية :

كما يرصد (بوزقورت) ما تمخض عن هذه الطائفية والعصبية الحزبية المقيتة من نتائج سلبية زادت من تفاقم مشكلات قبرص التركية وتأزم الأوضاع فيها . وكان من أخطر هذه النتائج من وجهة – نظر الكاتب – هو الانحراف عن القضية الوطنية الأساسية ، بحيث أصبح لمصالح ذلك الحزب الحضور الطاغي أكثر من مصالح البلاد وقضيته الوطنية ، ونسيان تلك القضية في خضم القضايا السياسية الفرعية الأخرى . ويؤكد الكاتب على خطورة هذا الأمر ، ويصوره باعتباره أكثر ما كان يقلق كمال بطل الرواية ويزعجه إذ يقول « وكان كمال يأسف على ما آلت إليه أوضاع البلاد . وكان أكثر ما كان يقلقه بصفة خاصة هو أن القضية الوطنية قد طواها النسيان أو كاد . وصار الكل يتكلم بلا معنى، وعلى مر الأيام لم يعد يثق بإخلاص من هم في السلطة في هذا الموضوع » (Bozkurt.2007.s.71) [٥٦]

وهكذا يدين الكاتب الممارسات السياسية الفاسدة لمن بيدهم السلطة وسعيهم الدءوب لإعلاء مصالحهم الحزبية والسياسية فوق مصالح الوطن وعلى حساب القضية الوطنية الأساسية في حقبة زمنية حرجة من تاريخ البلاد كانت تتطلب من الجميع الوقوف صفا واحدا للذود عن قضية وجودهم المصيرية .

وهكذا وعلى النحو السابق شدد (بوزقورت) على آليات ووسائل المقاومة التي تضمن للطائفة التركية البقاء والصمود والخلاص مما يواجهها من أزمات وتحديات ، وقام بكشف سوءات النظام السياسي القائم وممارساتها

(56) - " Ülkenin durumuna üzülüyordu . Özellikle kendisini en çok rahatsız eden konu , ulusal sorunun neredeyse unutulmuş olmasıydı . Her kafadan bir ses çıkıyordu . Hükümettekilerin bu konudaki içtenliğine giderek inanmıyordu ."

السياسية والاقتصادية الفاسدة التي أفقرت البلاد وأدت إلى هروب الكثير من الشباب التركي القبرصي إلى أوربا وأمريكا وتركيا . كل ذلك بالطبع إضافة إلى مقاومة الآخر العدواني المتمثل في الطائفة اليونانية عدوهم التاريخي اللدود . وهكذا استطاع (بوزقورت) الجمع بين مقاومة العدو في الخارج ومقاومة الانتهازيين ممن حققوا ثروات طائلة على حساب القضية في الداخل .

والرواية زاخرة بالكثير من تمثلات الفعل المقاوم وتجلياته ، والتي لو تتبعتها الدراسة كافة ما انتهت .

***

خاتمة الدراسة ونتائجها

تمخضت هذه الدراسة عن عدد من النتائج يمكن إجمالها فيما يأتي :

١- حظيت القضية القبرصية باهتمام بالغ من جانب الروائيين الأتراك القبارصة فتفاعلوا معها وأرّخوا (روائيا) لها باعتبارها معركة بقائهم وقضية وجودهم ومصيرهم .

٢- مثّلت الرواية التركية القبرصية جزءا أصيلا من المنتج الروائي التركي ، لم يتوان كتّابها - خاصة في الحقبة من عام ١٩٦٠ - ١٩٧٤ وما بعدها - عن إلقاء الضوء على كافة التحديات والصعوبات التي واجهها القبارصة الأتراك عبر تاريخهم فوق أرض قبرص خاصة منذ اندلاع المصادمات الدامية بينهم وبين القبارصة اليونانيين بدءا من عام ١٩٥٥ ، وعرضوا صورا واقعية وحية لما تعرض له الأتراك من مجازر وتهجير قسري ، وصولا إلى تدخل تركيا عسكريا في الجزيرة عام ١٩٧٤، وانتهاء

إلى إعلان قيام جمهورية شمال قبرص التركية عام ١٩٨٣ التي لم يعترف بها أحد من المجتمع الدولي سوى أنقره .

٣ – استخدم الروائيون الأتراك (القبارصة) الرواية وسيلة من وسائل المقاومة من أجل تعزيز الصمود في مواجهة الآخر المعتدي والمقصود به في الرواية القبارصة ذوي الأصول اليونانية ومنظمتهم الإرهابية (أيوكا) التي سعت لتصفية الوجود التركي في الجزيرة تمهيدا لإلحاقها باليونان .

٤ – امتلكت رواية « هل نضج اليوسفي ؟ « للكاتب التركي القبرصي (إسماعيل بوزقورت) قيمة فنية خاصة ، فهذه الرواية – إجمالا – تمثيل فني لثقافة المقاومة التي كانت ذات حضور طاغ ومؤثرة في شخوصها وأحداثها ، مما يدرجها تحت ما يُعرف بأدب المقاومة ، ذلك الأدب المعبر عن الذات الجمعية الواعية بهويتها ، المتطلعة إلى حريتها في مواجهة الآخر العدواني ، والمعني بقضايا الهوية والحرية والأرض والانتماء .

٥– مثّلت الرواية تمثيلا فنيا لافتا الفعل المقاوم والنضالي للأتراك القبارصة وكان من أبرز ملامحه وتمثلاته :

أ – ترسيخ الوعي بالذات والهوية التركية بمقوماتها ومكوناتها المختلفة من أحداث تاريخية وأنماط معيشية وموروثات ثقافية باعتبار ذلك أحد أساليب المقاومة والذود عن الذات الجمعية التركية ، تكريسا لاستقرارها وتعزيزا لاستمرارها .

ب – تكثيف الوعي بالآخر العدواني وفضح ممارساته اللاإنسانية المختلفة ضد الذات التركية القبرصية من قمع ومجازر وحملات اعتقال وتعذيب وتهجير قسري وهدم منازل إلى آخر ذلك من المفردات اللاإنسانية التي يحفل به سجل اعتداءات الآخر اليوناني .

ج – إدانة المجتمع الدولي وتخاذله عن التصدي لما واجهه الأتراك من مجازر، وتقاعسه عن حماية العُزّل والمستضعفين من النساء والشيوخ والأطفال الأتراك .

د – رفض دعوات التطبيع مع الآخر اليوناني ، وغيرها من دعوات إعادة توحيد شطري الجزيرة والتمسك بالتقسيم .

ه – التأكيد على عمق انتماء القبرصي لوطنه وقوة التصاقه بأرضه ، ليس باعتبارها حيزا جغرافيا محدودا ، وإنما باعتبارها وطنا يعشش في قلبه، ويلح دوما على ذاكرته ووعيه ومخيلته ، يستمد منه كينونته وعلة وجوده ، ويشعر إليه بالحنين الجارف حين تضطره الظروف إلى النزوح عنه .

و– وعلى سبيل نقد الذات ورفع سقف الوعي السياسي لدى أفراد المجتمع وممارسة الفعل النقدي البنّاء للحكومة وسياساتها ، رصدت الرواية مظاهر الفساد السياسي والاقتصادي والاجتماعي الذي ينخر في عضد الدولة التركية القبرصية حديثة النشأة ، وتداعيات ذلك والتي تمثلت في إفقار القطاعات العريضة من الشعب واضطرار الكثيرين منهم إلى الهرب من قبرص والهجرة إلى استراليا وأمريكا وتركيا .

٦ – انتهت الدراسة إلى أن الكاتب والمناضل التركي القبرصي(إسماعيل بوزقورت) بعد أن حمل البندقية دفاعا عن شعبه حينما انخرط – وهو لا يزال في المرحلة الثانوية – في صفوف منظمة المقاومة التركية للتصدي للاعتداءات الوحشية لمنظمة (أيوكا) اليونانية الإرهابية ، راح يحمل سلاح الرواية ، بغية ترسيخ الذاكرة الوطنية وروح الانتماء في نفوس مواطنيه من القبارصة الأتراك والتعبير عن وضعهم الحرج وواقعهم المأزوم ، مما جعل روايته هذه بمثابة وثيقة أدبية تؤرخ لمقاومة الشعب التركي القبرصي وصموده في مواجهة التحديات التاريخية .

مصادر ومراجع الدراسة

أولا ــ المراجع العربية :

شلبي ، زينار قدري.٢٠١٩.المقاومة في الرواية العربية الحديثة روايات السيد نجم نموذجا.طبعة أولى . أروقة للدراسات والنشر.القاهرة .

مرسي،أحمد على دكتور .١٩٩٩. الأدب الشعبي وثقافة المجتمع. الهيئة المصرية العامة للكتاب.القاهرة .

نجم ،السيد . ٢٠١٤ . أدب المقاومة : المفاهيم والمعطيات .كتاب الهلال. دار الهلال . القاهرة .

نجم،السيد.٢٠٠٥.المقاومة والحرب في الرواية العربية. كتاب الجمهورية.القاهرة.

شكري ، غالي . ١٩٧٩. أدب المقاومة. دار الآفاق الجديدة . بيروت .

ثانيا ــ المصادر والمراجع التركية :

AKARSU, Bedia .1975. Felsefe Terimleri Sözlüğü.Türk Dil Kurumu.Ankara .

ALASYA ,Halil Fikret . 2012.” Kıbrıs İngliz İşğali Maddesi”, Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi. C. 25, Türkiye Diyanet vakfı . İstanbul . (380-383)

ANONİM,1968, Hayat Küçük Ansiklopedisi , Hayat Yayınları, İstanbul .

ATUN, Suna.2010. Kıbrıs Türk Edebiyatı . 2.Basım. Doğu Akdeniz Üniveristesi Basımevi.Gazimağusa KKTC.

ATUN, Suna . 2011. Kıbrıs Türk Romanı(Örneklemeli Tarihçe) Birinci Basım.Samatay Vakfı Yayınları. Mağusa – Kıbrıs .

BALİ,Muhan .1998. "Kıbrıs Türk Edebiyatında Direniş Unsurları". İkinci Uluslararası Kıbrıs Araştırmaları Kongresi (24 – 27 Kasım 1998) .C. III . Doğu Akdeniz Üniveristesi–Kıbrıs araştırmaları Merkezi yayınları. Gazimağusa – Kıbrıs .(207–219)

BEKTAŞ, Aslı.2012. İsmail Bozkurtun Romanlarının İncelemesi .lisans Tezi .Yakın Doğu Üniveristesi Fen–Edebiyat Fakültesi . Türk Dili ve Edebiyatı Bölümü , Lefkoşe–KKTC.

BEŞİRLİ, Hayati .2010. "Yemek Kültür ve Kimlik" . Milli Folklor Dergisi . yıl 22 . Sayı 87 . İstanbul.(159–169).

BOZKURT, İsmail .2007. Yusufçuklar Oldu mu ?. 3.baskı.Cem Yayinevi .İstanbul.

BURUKÇU, Muzeffer .3 Ekim1991. "Kıbrıslı Yazar İsmail Bozkurtun Yeni Kitabı(Yusufçuklar oldu mu) Bir Halkın Serüveni" . Cumhuriyet Kitap, (s.7)

ÇEVİKEL, Nuri . 2006. Kıbrıs Akdenizde bir Osmanlı Adası (1570 – 1878). 47 Numara Yayıncılık. 1. Baskı . İstanbul .

ÇİÇEK, Kemal .2012."Kıbrıs Osmanlı Dönemi Maddesi". Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi . C. 25. Türkiye Diyanet vakfı . İstanbul . (374–380)

ÇİFTLİKÇİ, Ramazan.1999. "Kıbrıs Türk Romanında İsmail Bozkurt Fenonemi" . II. Uluslararası Kıbrıs Araştırmaları Kongresi. 24–27 Kasım 1998, Doğu Akdeniz Üniversitesi Kıbrıs Araştırmaları Merkezi . Gazimağusa– KKTC .

FEDAİ, Harid ve Sağlam ,Fayyaz .1997. Başlangıçtan Günümüze Kadar TÜRKİYE DIŞINDAKİ TÜRK EDEBİYATLARI ANTOLOJİSİ. C.9.Birinci baskı. Batı Trakya ve Kıbrıs Türk Edebiyatı Kültür Bakanlığı. Ankara.

GAZİOĞLU, Ahmet.2000 . Enosis Çemberinden Kıbrıs Cumhuriyetine . Kıbrıs Araştırma ve Yayın Merkezi. Kıbrıs– Lefkoşa .

GAZİOĞLU, Ahmet.2002 "Rum Mezalimi ve KKTC'Ye Doğru". Türkler Ansiklopedisi.C.19.Yeni Türkiye Yayınları . Ankara.(s.946–965) .

GÜLER, Yavuz .2004. "Kuzey Kıbrıs Türk Cumhuriyeti'nin Kuruluşuna Kadar Kıbrıs Meselesi" . Gazi Üniversitesi , Kırşehir Eğitim Fakültesi Dergisi. C.5 . Sayı 1 . Kırşehir.(s.101–112)

GÜRSOY, Cevat,1971."Coğrafya Bakımından Kıbrıs ve Türkiye". (Milletlerarası Birinci Kıbrıs Tetkileri Kongresi). Nikosya – Kıbrıs. Türk Kültürünü Araştırma Ensitütüsü Yayınları Ankara .

GÜRSOY, Cevat Rüştü . 2012 . "Kıbrıs" Maddesi .Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi . C. 25. Türk Diyanet vakfı. İstanbul .(370–371)

İNCE, Kasım. 1996 "Kuzey Kıbrıs Türk Cumhuriyeti ve Güney Kıbrıs'ta Osmanlı Cami ve Mescidleri" , Atatürk Üniveristesi Türkiyat Arıştırmaları Enstitüsü Dergisi , Sayı 4 , Erzrum.

İSLAMOĞLU, Mahmut.2013. Geleneksel KIBRIS Türk Mutfağı. Gökada yayınları. Lefkoşe–KKTC.

KARAKARTAL,Oguz ve FEDAİ Harid . 2012. " Kıbrıs Edebiyat" Maddesi .Türkiye Diyanet Vakfı İslam Ansiklopedisi . C. 25. Türk Diyanet vakfı. İstanbul.(522–525)

KARATAŞ,Turan.2001. Ansiklopedik Edebiyat Terimleri Sözlüğü. Perşembe Kitapları. İstanbul.

KOLCU, Ali İhsan .2004. Çağdaş Türk Dünyası Edebiyatı. C.1. Salkım Söğüt Yayınları. Ankara.

KÖSE, Osman, 2017. Tarihte Kıbrıs (İlk çağlardan 1960' a) C.II. Birinci Baskı. Dokuz 10 Beş Reklam Organizasyon Matbaacılık. İstanbul .

KUDRET,Cevdat.1979. Türk Edebiyatında Hikaye ve Roman .C.1. 3.baskı. Varlık Yayınları . İstanbul.

MERAM,Ali Kemal.1969.Belgelerle Türk–İngliz İlişkileri Tarihi .Kitaş Yayınları.İstanbul.

PARLATIR ,İsmail ve diğerleri.2005. Türkçe Sözlük. 10.baskı .Türk Dil Kurumu . Ankara .

SÖMEZOĞLU, Faruk . 1988. Ansiklopedik Politika Sözlüğü . İletişim Yayınları. İstanbul .

ULLA, Heise.2001. Kahve ve Kahvehane.Çev.Mustafa Tüzel.Dost Kitabevi. Ankara.

UZUNÇARŞLI, İsmail Hakkı. 1982. Osmanlı Tarihi . 6.baskı .Türk Tarih Kurumu basımevi , Ankara .

ÜLKEN, Hilmi Ziya .1969. Sosyoloji Sözlüğü.Milli Eğitim Basımevi. İstanbul .

YILDIZ, Süleyman.2007."Kimlik ve Ulusal Kimlik Kavramlarının Toplumsal Niteliği" . Milli Folkolor Dergisi. sayı 74 İstanbul . (9–16).

YÜCEL, Hakkı . 1988. Kıbrıslı Türk Edebiyatında Kimlik Açısından Roman ve Öykü , (Edebiyatta Kıbrıslı Türk Kimliği 1.Genç Kıbrıslı Türk Aydınlar Paneli , Londra – 21 Haziran 1987). İlk basım.Varlık Yayınları , , İstanbul.

YÜKSEL,Dilek Yiğit.2009. "Kıbrıs Türk Milli Micadelesi (1914 – 1958)" ÇTTAD (Çağdaş Türkiye Tarihi Araştırmaları Dergisi)Dokuz Eylül Üniveristesi , Atatürk ilkeleri ve İnkılap Tarihi Ensttüsü , Cilt VIII , Sayı 18-19 , İzmir 2009 , (s.161-184)

ثالثا – المصادر التركية العثمانية :

– ســـامي ، شـــمس . ١٣٠٦– ١٣١٦. قامـــوس الأعـــلام . ٦ جلـــد . مهـــران مطبعـــه ســـى . اســـتانبول .